كلمات في التراث العربي

دكتور جابر قميحة

تقديم

التراث العربي القديم هو ـ في كلمات خاطفة : ما أثمرته قرائح الأبناء والأجداد من نتاج علمي وأدبي وتاريخي وفلسفي وديني على مدى قرون طويلة .

وقد استطاع هذا التراث بإمكاناته الضخمة الواسعة أن يصنع حضارة لها ملامحها وسماتها المميزة : ولها كذلك بصماتها الواضحة على الفكر الأوربي باعتراف مؤرخي الغرب ومفكريهم ما جانبوا التحامل والتعصب والأحقاد . وأسهم هذا التراث اسهاما جادا في بناء الحضارة الانسانية .

ولم يحصر الفكر العربي ـ قديما ـ نفسه في دائرة ضيقة بل ضرب بسهامه في شتى المجالات : ففي الطب يفخر بل يفخر العالم كله ابن سينا بكتابه (القانون) ، وأبو بكر الرازي في كتابه (الحاوي) ، وفي علم البصريات الحسن بن الهيثم في كتابه (المناظر) ، وفي الكيمياء جابر بن حيان الذي ترجمت كتبه الى اللاتينية وخاصة كتابه (في صناعة الكيمياء) وكتاب السبعين) .

ويطول بنا المقام لو رحنا نعدد النتاج الفكري العربي في مجال الجغرافيا والفلسفة والتصوف والفلك والعمارة والتاريخ والأنساب وغيرها مما يخرج عن نطاق دراستنا .

وقد تمثل هذا التراث قديما ـ كما هو معروف ـ في شكل مخطوطات : ومع النهضة العلمية قديما كثرت التآليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأعصار فانتسخت وجلدت ، وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار العظيمة العمران " (١) .

وعلى هذا الرصيد الهائل من ثمرات الفكر العربي قامت صناعة الوراقة لتنسخ من الكتاب الواحد عشرات أو مئات تأخذ طريقها الى العلماء وقصور

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٣٨٢ .

الأمراء والوزراء والخلفاء بخاصة ، ويقال أنه كان بخزانة العزيز بالله ٣٠ نسخة من كتاب العين و ١٠٠ نسخة من جمهرة ابن دريد ، وكان في خزانة الفاطميين ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري .(١)

وقد قامت جهود هائلة في القديم - قبل ظهور المطبعة - تشرح كثيرا من كتب التراث أو تختصرها تيسيرا على القارئ وطلاب العلوم .

وبعد ظهور المطبعة ، وفي العصر الحديث قامت نهضة مباركة لاحياء التراث العربي في شتى موضوعاته ، وكانت هذه الجهود في أغلبها تعتمد على أسس علمية منهجية في تحقيق هذا التراث ونشره لتسهيل تداوله على أوسع نطاق (٢) . ومع مسيرة هذا الاحياء نذكر بالتقدير جهود كثير من المستشرقين منهم : وستنفلد الألماني وديفان الهولندي وتشارلس لايل الإنجليزي ورودلف جاير الألماني ووليم رايت الانجليزي وغستاف يان الألماني .

ونذكر بالفخر جهود كثير من العلماء العرب والمصريين في مقام احياء هذا التراث منهم : أحمد زكي باشا وعبد الحميد العبادي وعبد السلام هارون وأحمد شاكر وعبد العزيز الميمني ، وعشرات غيرهم .

ولكننا للأسف نرى في وقتنا الحاضر ظاهرتين لايخطئهما النظر :

الأولى : انحصار المقدمين على تحقيق التراث ودراسته جيل الأفذاذ من الرواد وقلة ماتخرجه المطابع من كتب التراث .

والثانية : اتساع الهوة بين طلاب العلم وكتب التراث ، فقد رمنهم من يقبل على قراءة صفحات من هذه الكتب استثقالا لها .

---

(١) أنظر عبد السلام هارون : التراث العربي ٤١ .
(٢) راجع البحث القيم الذي كتبه محمد طه الحاجري من ص١١ - ٣٨ من مجلة عالم الفكر أبريل ١٩٧٧ بعنوان (تحقيق التراث : تاريخا ومنهجا) .

وأغلبهم يتهيب الاقبال عليها لضعف الآداة والاستعداد العلمى لخوض غمارها ، ولا أغلو اذا قلت أن عشرات الآلاف من طلابنا يتخرجون فى جامعاتنا وهم يجهلون أسماء الكتب الأمهات لأمثال : الجاحظ والمبرد وابن خلدون وابن قتيبة .

ومن عجب أن تعلو بعض الأصوات مطالبة " بتيسير التراث " بكتابته بأسلوب عصرى مبسط ليكون سهل المأخذ والفهم أمام القراء وطلاب العلم ، وهى دعوة بناءة فى ظاهرها هدامة فى حقيقتها وباطنها : فالتراث لايكون تراثا الا بلفظه ومعناه الاصليين ، ولو كتب بغير أسلوبه الذى سجله منشوه لفقد أصالته وانعدمت تراثيته " وانفصم عن عصره وبيئته ، ولا يقال ان أسلوب هذا التراث لم يعد يوافق طبيعة أسلوبنا بما فيه من سهولة وتدفق ووضوح الا اذا صح أن نقول : فلنهدم الهرم الاكبر ونبنى بأحجاره قبورا أو مساكن على " الطراز الحديث " لانه لم يعد يتفق مع ذوقنا المعاصر فى البناء والمعمار .

انما السبيل المثلى لنشر تراثنا وعقد صداقة أو صلح بينه وبين أبنائنا من الطلاب والقراء يكون من وجهة نظرى بالوسائل الآتية :

١ — تيسير الحصول على كتب التراث بطبعها طبعات " شعبية " رخيصة الثمن ، مع تفسير مبسط لما استغلق من ألفاظها وعباراتها .

٢ — تدريس مادة (التراث العربى) من المرحلة الثانوية : ابتداء من فصول مختارة من كتب التراث ، على أن تصعد الدراسة ابتداء من المرحلة الجامعية بكتاب مستقل من كتب التراث أو جزء منه اذا تعددت أجزاؤه ككتاب الاغانى أو البيان والتبيين .

٣ — عقد مسابقات جادة ذات جوائز مالية مجزية فى كتاب أو كتب تراثية فى العطلة الصيفية لطلاب الجامعات يسهم فى تكاليفها الجامعات والمجمعات العلمية والأدبية ودور النشر .

٤ — تشجيع البحث فى كتب التراث وتحقيق المخطوطات ونهوض الجامعات بنشر هذه الجهود على نفقاتها .

ودراسة التراث — زيادة على تحقيقها أهدافا فكرية علمية — تحقق ولا شك جانبا آخر لايقل أهمية عن الجانب العلمي ، وهو " الاعتزاز القومي " بمفهومه السمح الرحب الوسيع ، والاعتزاز القومي الذي أعنيه ليس " ردة أو رجعية فكرية " كما يحلو لبعض أدعياء التقصير " أن يقولوا ، ولكنه يستمد من " مثالية عربية واسلامية " تجسدت في انتاج فكري أمد واستمد — في كرم وسماحة — الفكر الانساني ، وكان صاحب فضل في حفظ اجزاء مهمة جدا من الحضارة اليونانية بخاصة بعد أن أتى عليها المغيرون .

وشبابنا في حاجة ملحة أن يعيشوا " ماضينا الفكري " حاجتهم لمعايشة الواقع المعاصر ، في عالم تتلاطم فيه التيارات الفكرية والمذهبية ، حتى لايوخذ الشباب ببريق الحاضر الفكري وسهولة ما تاه وهو في أغلبه وافد ، وبصمات غيرنا جد واضحة فيه .

وصل الحاضر بالماضي اذن ليس قضية من قضايا " الترف العقلي " ولكنها اصبحت وتصبح مع الايام ضرورة علمية وقومية وأخلاقية وتربوية .

وهذه الصفحات التي أقدمها لأبنائي الطلاب وبناتي الطالبات لا أجرؤ أن أسميها " دراسة " لذا أثرت أن اسميها " كلمات " .... وهي كلمات خاطفة في الواقع .. بقدر ماتهيأ الوقت وسمح المجال ... وهي كلمات تلقي بعض الضوء على بعض كتب التراث العربي .. وقد راعيت في هذه " الكلمات " ما يأتي :—

١ — <u>تمثيل التراث في اشكال وصور متعددة :</u>

فمثلت للتراث في صورته الفنية الجامعة بكتاب الأغاني ومثلت للتراث في صورته " الناقدة " بكتاب الموشح " ومثلت للتراث في صورته الملحمية " برسالة الغفران " للمعري ، ومثلت للتراث في صورته المعجمية بأساس البلاغة للزمخشري .. وهكذا حتى يتعرف الطلاب للتراث في شتى أشكاله وألوانه . ولا أدعي أن ما عرضته يمثل التراث في كل أشكاله : فهناك

مما لايتسع له مقام هذه الصفحات ـ التراث فى شكله البلاغــى كأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز للجرجانى ، والتراث فى شكله القصصــى كألف ليلة وليلة والتراث فى شكله التاريخى أو الاجتماعى كمقدمــــة ابن خلدون .... الخ .

٢ ـ دوران هذه الكلمات بالنسبة لكل كتاب على محاور ثلاثة " :

أ) التعريف الموجز بالكاتــب .
ب) عرض المضامين الفكرية والفنية للكتاب .
جـ) التقييم الفنى واستخلاص المنحى الفكرى والملامح المنهجيــة والفنيـــة للكتاب .

٣ ـ الاكثار من الشواهد والنصوص حتى يستطيع الطالب أن " يعايش جو الكتاب " فيسهل عليه اقتحام " صحابة ماتناوله للقراءة .

ولا يفوتنى فى نهاية هذا التقديم أن احيل الطلاب الى ثلاثـــة كتب قيمة يمكن أن تعين الطالب الدارس كمدخل لكتب التراث : الاول : (دراسة الاغانى) للاستاذ شفيق جبرى والثانى (صاحب الاغانــى أبو الفرج الاصفهانى الراوية) للدكتور محمد خلف الله أحمد . والثالث: (المصادر الأدبية للدكتور طاهر مكى . وأفوض أمرى الى اللـه ان الله بصـــير بالعباد ..

دكتـــور

جابر قميحـــة

الفصل الأول : التراث في صورته الفنيـــة الجامعـــة :
(الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني)

الكاتـب : هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بـــن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مـروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشـي الأمـــوي .

كان مولده سنة ٢٨٤ هـ بمدينة أصفهان (١) وكانت نشأته الطويلة ببغداد . ودرس على كثير من علماء عصره الذين تنوعت ثقافاتهم وعلومهم ومن أشهر هؤلاء ابن دريد وابن الانباري والأخفش والطبري ونفطويه .

واستطاع أبو الفرج بذكائه الحاد أن يلتهم علوم عصره فثقف الشعر والأدب والتاريخ والفلسفة والنحو والتاريخ . وساعدته هذه " الموسوعية " على أن يقدم للمكتبة العربية عشرات من المؤلفات أشهرها وأطولهـــا كتاب الأغاني ومن هذه المؤلفات : مقاتل الطالبيين - أخبار القيان - أخبار الطفيليين - أيام العرب (١٧٠٠ يوم) - الاماء الشواعر - المماليك الشعراء - الحانات - تفضيل ذي الحجة - دعـــوة التجار - دعوة الأطباء - مناجيب الخصيان - كتاب النغم - نسب المهالبة - نسب بني عبد شمس - نسب بني شيبان - نسب بني كلاب - نسب بني تغلب .. .. وغيرها .

وقد ضاع أغلب هذه الكتب ولم ينقل لنـــا التاريـــخ الا أســـماءها .

---

(١) يرجح الدكتور خلف الله أنه ولد " بسرمن رأى " أنظر كتابـــه ص ٢١ وما بعدها . وعلى نفس الرأي (الموسوعة العربيـــة الميسرة) ص ٣٨ . وهو خلاف المشهور من أنه ولد باصبهان .

وكما كان أبو الفرج يجلس لأساتذته يتلقى عنهم ويذهب الى داره ليسجل مايراه جديرا بالتسجيل كان يجلس اليه كذلك تلاميذه يقرأ عليهم كتبه ، ومن كتبه التى قرأها عليهم كتاب الاغانى وكتاب مقاتل الطالبيين .

وكان لأبى الفرج اتصالاته بكثير من رجال عصره من الكبراء والوزراء والعظماء ومن أشهر هؤلاء : الحسن بن محمد المهلبى وزير معز الدولة ابن بويه . ومنهم ركن الدولة بن بويه الذى عمل له كاتبا لفترة من الزمن .

وينقل لنا التاريخ صورة أبى الفرج فيروى لنا أنه عاش طيلة حياته — حتى فى مهجرته — قذر المطعم والمشرب والملبس : يعيش الأمد الطويل بالثوب الواحد لايخلعه عنه الا اذا أبلاه الزمن وأكلته الايام بما لايليق بذوى المروءة والمكانة من الناس .

ويعيش حياته منهوما بملاذ الدنيا مقبلا على طعامها وشرابها ومتعها .

ولكنه من ناحية أخرى كان ذكيا خارق الذكاء يتمتع بذاكرة قوية وحافظة خصبة ، وكان طلعة متحمسا للقراءة مقبلا على علوم عصره حتى صار نموذجا طيبا لصاحب " العقلية الموسوعية " التى تعى كل شىء عن كل شىء .

كما كان — على قذارة هيئته — خفيف الظل حاضر البديهة ظريفا حسن النكتة . وكتابه الاغانى غاص بكثير جدا من الطرائف والنوادر .

وكان أبو الفرج فى أحكامه " معتدلا " بعيدا عن الحدة والتحامل والتعصب الى حد كبير . فهو يشهد لكعب بن الاشرف اليهودى على شدة عداوته للرسول وللمسلمين بأنه كان شاعرا فارسا فحلا فصيحا (١)

---

(١) أنظر الاغانى ٢٣/٧٩٤٩ .

وعرف أبوالفرج بتشيعه لعلى وآل بيته وتعاطفه معهم الى حد بعيد يدل على ذلك كتابه (مقاتل الطالبيين) الذى صور فيه بعاطفة متوهجة مآسى الطالبيين الذين استشهدوا بالسيف أو بالسم أو بالسجن وهم يزيدون على مائتين : ابتداء من جعفر بن أبى طالب الى عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن جعفر بن ابراهيم . ولكنه على أية حال لم يكن غاليا مشتطا فى تشيعه يدل على ذلك أمور أهمها :

أ) أنه اقتصر فى كتابه المذكور على ترجمة من كان من الطالبيين " محمود الطريقة ، سديد المذهب ، لا من كان بخلاف ذلك ، أو عدل عن سبيل أهله ومذاهب اسلافه أو كان خروجه على سبيل عبث وافساد " (١) .

ومسلكه هذا يخالف مسلك الغلاة المسرفين فى التشيع .

ب) أنه كان يراسل حكام الاندلس من الأمويين ويقبل هداياهم وعطاياهم .

جـ) ولم يخل كتاب الأغانى من ذكر كثير من الاخبار الطيبة عن أعدى أعداء الشيعة مثل : يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد .

د) ويروى من الكلام ماقد يعد عند البعض اساءة الى على بن أبى طالب كقول أبى حمزة الشارى فى خطبته المشهورة " .... ثم قام من بعده (النبى) أبو بكر فاخذ بسنته وقاتل أهل الردة وشمر فى أمر الله حتى قبضه الله اليه والأمة عنه راضون ..... ثم ولى من بعده عمر فاخذ بسنة صاحبه ، وجند الاجناد ، ومصر الأمصار ... ثم ولى من بعده عثمان فعمل فى ست سنين بسنة صاحبيه ... ثم ولى على بن أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ، ولم يرفع له منارا ، ومضى لسبيله ... " (٢)

---

(١) الأصفهانى : مقدمة (مقاتل الطالبيين) ص ٥ .
(٢) الاغانى ٢٧/ ٩٤١٧ .

" ويروى من هذه الخطبة أيضا " ... وأما اخواننا من هذه الشيعة فليسوا باخواننا فى الدين ... لايرجعون بنظر فى القرآن ، ولا عقل بالغ فى الفقه ، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب ، قد قلدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه فى جميع مايقوله لهم غيا كان أو رشدا أو ضلالة أو هدى .. " (١).

ومن هذا القبيل أيضا بعض الصور الكريهة المقززة التى ينقلها عن بعض شعراء الشيعة المغالين فى تشيعهم مثل السيد الحميرى مثلا (٢) بينما يهمل كثيرا من الجوانب الوضيئة عن بعض الشعراء الذين نظموا شعرا فى التهجم على الطالبيين مثل ابن المعتز ..

وقد يتهم أبو الفرج بالشعوبية لأنه أورد كثيرا من الأخبار عن الفرس : ملوكهم وأمرائهم ومن أنحدر من أصلابهم .

وهى تهمة لاتصمد أمام النقد الحصيف والنظر البصير .. :

أ) لأن كثيرا مما كتبه أبو الفرج عنهم لايعدو الحقيقة كالذى كتبه عن البرامكة .

ب) والذى كتب عن أمجاد العرب وأنسابهم ومفاخرهم كيوم ذى قار فى كتابه الأغانى وكتابه (أيام العرب) لايستقيم القول بشعوبيته .

قيمة الكتاب وشهرته :

شهد المتقدمون لكتاب الأغانى بالعظمة والتفوق فقال عنه ياقوت الحموى " .. لعمرى ان هذا الكتاب لجليل القدر ، شائع الذكر ، جم الفوائد ، عظيم العلم .. وقال عنه عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة " لم يكن كتاب الأغانى يفارق عضد الدولة فى سفره

---

(١) المصدر السابق ص ٩٤٢٠ .

(٢) أنظر ترجمته ج ٧ من ص ٢٦٦٩ — ٢٧١٨ .

ولا حضره ، وانه كان جليسه الذى يأنس اليه وحديثه الذى يرتاح نحوه ..."

ويرى الصاحب بن عباد أن الأغانى للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة ، وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رجلة وشجاعة ، وللمتظرف رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة ، ولقد اشتملت خزانته على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميره غير الأغانى .

ومن أجل هذه الشهادات وأنفسها وأدلها على مكانة الأغانى قول ابن خلدون "وقد ألف القاضى أبو الفرج الاصبهانى ، وهو ما هو ــ كتابه فى الأغانى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ، ولعمرى انه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ، ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التى يسمو اليها الاديب ، ويقف عندها ، وأنى له بها ؟ " (١) .

والمحدثون يجمعون على تفوق الكتاب وعظمته وروعته وشموله ويرى أصحاب دائرة المعارف الاسلامية أن الاغانى لا يعتبر أهم مرجع للتاريخ الأدبى الى القرن الثالث الهجرى فحسب بل يعتبر أيضا أهم مصدر لتاريخ الحضارة (٢) .

طبعاته ومختصراته :

١ ــ طبع الأغانى أول طبعة كاملة فى عشرين جزءا بمطبعة بولاق عام (١٣٠٥ هـ ــ ١٨٦٨ م) .

٢ ــ وكانت طبعته الثانية سنة ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ تلك التى قام بها الحاج محمد الساسى التونسى بالقاهرة .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٢٢ وانظر شفيق جبرى (دراسة الأغانى) ص ٤ ، ٥ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥٧٠/١ .

٣ ـ أما الطبعة الثالثة فقامت بها دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥ ٠

٤ ـ وكانت أحدث الطبعات هي طبعة دار الشعب تحقيق ابراهيم الابياري وتنتهي بأخبار المتلمس وضبعة وتقع في ٩٨٢٣ صفحة استغرقت ٢٨ مجلدا و ٧١ صفحة من المجلد التاسع والعشرين وألحقت به كتاب (أخبار أبي نواس) لابن منظور المصري وهو يتم بمنتصف المجلد الثلاثين يليه فهارس طويلة دقيقة لما تطبع بقيتها ٠

واختصر الكتاب وطبع ملخصا على أيدي كثيرين وممن اضطلع بهذا العمل ٠

١ ـ أبوالفرج نفسه فقد أوجزه في كتاب سماه (مجرد الأغاني) وقد فقد ولم يصلنا ٠

٢ ـ ابن واصل الحموي المتوفي عام ٦٩٧ هـ وسمى مختصره (تجريد الأغاني من ذكر المثالث والمثاني) ٠

٣ ـ ابن منظور المصري صاحب (لسان العرب) المتوفي عام ٧١١ هـ لخص الكتاب ورتبه على حروف الهجاء وسماه (مختار الأغاني في الاخبار والتهاني) ٠

٤ ـ وفي العصر الحديث اختصره الشيخ محمد الخضري في سبعة أجزاء وسمى المختصر (مهذب الأغاني) (١) ٠

وكل هذه الطبعات وتلك المختصرات تدل ولا شك على أهمية الكتاب ومكانته عند الأدباء والنقاد والقراء قديما وحديثا ٠

موضوع الكتاب :

جمع أبوالفرج في هذا السفر الضخم الأغاني التي اختارها بأمر من الرشيد ـ الموسيقيون المشهورون : ابراهيم الموصلي

---

(١) أنظر الظاهر مكي : مصادر الأدب ص ٢٠٦ ـ ٢١٠ ٠

واسماعيل بن جامع وفليح بن أبي العوراء ، وراجعها من بعدهم اسحق ابن ابراهيم الموصلي ، وأضاف أبو الفرج أغاني آخرين مثل معبد وابن سريج وخلفائهم وذراريهم : وقد بين لكل أغنية لحنها .

كما اشتمل الكتاب على تراجم ومعلومات وفيرة عن الشعراء الذين نظموا هذه الاغاني ، وساق تفصيلا عن حياتهم و ، واستشهد بكثير من أبياتهم كما تكلم عن الملحنين وألحانهم ، وحوى تفصيلات كثيرة عن القبائل العربية القديمة وأيامها وحياتها الاجتماعية ، وحياة البلاط في عهد الأمويين وحال المجتمع أيام الخلفاء العباسيين وما كانت عليه بيئة الموسيقيين والمغنين .... ألخ .

فالكتاب اذن يعرض لنا الحضارة العربية جمعاء من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . ومن أجل الخدمات التى أسداها للفكر العربى أنه نقل كثيرا من النصوص لكتاب قدامى لم تصلنا مؤلفاتهم ومن ثم فان الكتاب يعد مرجعا أيضا لتطور الاسلوب العربى (١) .

ويشد الأغاني أنظارنا بكثرة التراجم فيه : فقد ساق أخبارا وافية لمئات من الشخصيات منها المشهور الذى نعرف عنه الكثير ، ومنها المغمور الذى لانعرف عنه الا أقل القليل . ومن هذه الشخصيات على سبيل التمثيل :

أ) الشعراء :

عمر بن أبى ربيعة - أبو قطيفة - نصيب - أعشى همدان - وضاح اليمن - الأحوص - مجنون بنى عامر - عدى بن زيد - الحطيئة هلال بن الاسعر - عروة بن الورد - بشار بن برد - حسين بن الضحاك - جرير - جميل بثينة - يزيد بن الطثرية - عنترة - الأخطل - امرؤ القيس - الأعشى (أبو بصير) السيد الحميرى - أبو العتاهية - حسان بن ثابت ...

---

(١) أنظر دائرة المعارف الاسلامية ٥٧١/١ ومقدمة الأغانى .

ب) الـــرواة واللغويون : حماد الراوية ــ أبو الاسود الدؤلى ٠٠٠٠

جـ) المغنـــــون : معبد ــ الغريض ، ابن سريج ــ محمد بن عباد ٠

د) المغنيـــات : فريدة ــ جميلة ــ حبابة ــ سلامة القـــس ــ عقيلة العقيقـــة ٠

هـ) الملوك والأمراء والقـــادة : جبلة بن الأيهم ــ عمـــر ابن عبد العزيز ــ الوليد بن يزيد ــ أبو سفيان ٠

زيادة على أيام العرب ومعاركهم مثل : غزوة السويق ــ غزوة بدر ــ يوم الكلاب ــ يوم رحرحان ــ يوم جبلة ٠٠٠ الخ

ملامح الحضـــارة ومعالم الحياة الاجتماعية الأدبية :

كتاب الأغانى ــ كما ألمحنا من قبل ــ يعد من أهم المصـــادر العربية فى تصوير ملامح الحضارة العربية وسمات المجتمعات ، وخاصـــة مجتمع المدينة ، فهو ثروة ضخمة ، ورصيد يعتد به فى رصيده ملامـــح كثيرة جدا للحالة الاجتماعية والأدبية والعلمية وحيوات الأمراء والكـــبراء والعامة والمغنيين والجوارى والقيـــان ٠

ومن المزايا التى يكاد ينفرد بها أبو الفرج فى الأغانى أنه نقـــل الينا الحياة الخاصة لكثير جدا من الكبار والحكام فكان الكتاب معرضـــا واسعا لأسرار القصور والبلاط واللهو والعبث ومجالس الشراب والغناء ٠

(١) فكثير من خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانوا يتباهون ويتسابقـــون ويتنافسون فى اقتناء أرق المغنيات صوتا وأعلمهن بفنون الغنـــاء ويفاخرون غيرهم بالقدرة على تذوق هذه الفنون : يذكر أبـــو الفرج أن حبابه غنت بين يدى الخليفة الاموى يزيد بن عبد الملك فطرب ثم سألها : هل رأيت قط أطرب منى ؟ قالت : " نعـــم مولاى الذى باعنى " فغاظه ذلك ٠ وكتب فى حمله مقيـــدا وأدخل اليه يرسف فى قيوده ، فأمرها فغنت :

تقطعدا دارُجيراننا ∴ وللدارُ بعدَ غـدٍ أبعـدُ

فوثب الرجل حتى ألقى نفسه على الشمعة ، فأحرق لحيته وهـو يصيح من الألم ، فضحك يزيد وقال " لعمرى ان هذا لأطرب الناس وأمر بحل قيوده ، ووصله بألف دينار ، ووصلته حبابة ، ورده الـى المدينـــة (١) .

(٢) وبلغ غرام يزيد بن عبد الملك بحبابة حدا يفوق الوصف ويبعد عـو الى الغرابة حتى قيل أنها لما ماتت أقام لا يدفنها ثلاثا حـتى تغيرت وأنتنت وهو يشمها ويرشفها ، ولم يدفنها الا بعـد أن تكاثر عليه أقاربه وأصدقاؤه ولاموه فى ذلك لوما شديدا ، وأغرب من ذلك — كما يروى ابو الفرج — أنه اشتاق اليها بعد ثلاثة أيام من دفنها فأمر بنبش قبرها وكشف عن وجهها وقد تغير تغيرا قبيحا . فلما ليم على ذلك قال " مارأيتها قط أحسن منهـا اليوم ... وظل حزينا عليها حتى مات ودفن الى جانبها (٢) .

(٣) وفى الدولة العباسية بخاصة كان الخلفاء يصلون المغنين والمغنيات بصلات كبيرة : ففى أخبار اسحق ابن ابراهيم الموصلى أن الخليفة الواثق وصله بمائة ألف درهم لصوت غناه فى النجف (٣) وأمر له بخمسين الف درهم لصوت آخر . أما محمد الأمين فكافأه على أحد ألحانه بألف ألف درهـم (٤) .

(٤) وخلال ذلك يصور أبوالفرج ملابس المغنين وشاراتهم وهيئاتهم فى الجلسة والعزف كما يصور كثيرا من عاداتهم ولوازمهم كما يظهر من الخبر التالى " حدثنى الحسن بن على الخفاف قال حدثنا ابن مهرويه عن الجحدرى : قال : كان شرويين حسن الغناء والضرب ، وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلده جاء بجورية سوداء ، فأمرها أن تخالجه وتلوح لـه

---

(١) الأغانى ١٥/٥٤٤١ .　　(٢) السابق ٥٤٤٣ .
(٣) الأغانى ٥/٢٠٠٠　　(٤) السابق ٢٠١٢ .

بخرقة حمراء ، ليظنها أمرأة تطالعه فكان حينئذ يغني أحسن مايقدر عليه تصنعا لذلك (١) .

(٥) ولم تكن قصور الأمراء أو الحكام فحسب هي مسرح اللهو والتسلي والترف ، فقد كان هناك في عهد الدولة العباسية محال تشبه الى حد ما الحانات والمقاصف العامة في وقتنا الحاضر :

فالكوفة كان بها صاحب قيان يقال له (ابن رامين) يغشاه الناس ليسمعوا الغناء ويشربوا عنده (٢) والخمر كان لها سوقها وتجارها المعروفون من اليهود ، ومن هؤلاء رجل من تيما يدعى " جهينة بن أبي حمل " (٣) .

(٦) ولم يكن الغرام بالغناء والتعبد للطرب مقصورا على الأمراء والاغنياء ، فقد كان هناك من عامة الناس على فاقتهم واحتياجهم من يؤثر الغناء على سد الحاجة واشباع ضرورات الحياة ، كما يظهر من هذا الخبر الغريب وخلاصته : أن ابن عائشة المغني غنى الوليد بن عبد الملك صوتا فاطربه ، فوصله بثلاثين ألف درهم ، وبمثل كارة القصار ثيابا ، فلما خرج من عنده تبعه رجل لم يعرف بحرفته ، وسأله جعلت فداءك : أنت ابن عائشة أم المؤمنين ؟ قال : لا أنا مولى لقريش ، وعائشة أمي وحسبك هذا " . فسأله الرجل عن مصدر هذا المال والكسوة . فقال لي غنيت أمير المؤمنين صوتا فاطربته فكفر وترك الصلاة ، وأمر لي بكل ذلك " . قال الرجل : " جعلت فداءك : فهل تمن على بأن تسمعني ما أسمعته اياه ؟ " ... فأراد ابن عائشة أن يتهرب منه ، وانطلق ببغلته والرجل يسابقه ، ولزم الرجل باب ابن عائشة فاضطر الى ادخاله ، وعرض عليه مائتي دينار وعشرة أثواب لينصرف . ولكنه أبى قائلا " والله ان لي لبنية مافي أذنها حلقة من ورق فضلا عن الذهب ، وان لي لزوجة

---

(١) الأغاني ٤٧٤٠/١٣ (٢) أنظر الأغاني ٤١٥٠/١١
(٣) الأغاني ٤٨٧٩/١٤ .

ماعليها قميص ، ولو أعطيتني كل ماعندك مضاعفا على فقري لكـان الصوت أعجب وأحب الي " ، فغناه ابن عائشة ، فطرب الرجـل طربا شديدا ، وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصـف ثم خرج من عنده ولم يرزأه شـيئا (١) .

(٧) كذلك لم يكن هذا الغرام وذاك الاعجاب حالات فردية شـاذة فأبو الفرج ينقل من الاخبار مايدل على أن الطرب كان ذوقا عاما " يستوي فيه الخاصة والعامـة .

فيروى أن ابن سريج والغريض ومعبد اجتمعوا وتذاكروا أمـر حنين الحيرى المغنى ، وقالوا مافي الدنيا أهل صناعة شر منا : لنا أخ بالعراق ونحن بالحجاز لانزوره ولا نستزيره ؟ !! . فكتبوا اليه ، ووجهوا اليه نفقة ، وكتبوا يقولون " نحن ثلاثة وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا " فشخص اليهم . فلما كـان على مرحلة من المدينة بلغهم خبرة فخرجوا يتلقونه فلم ير يـوم كان أكثر حشرا ولا جمعا من يومئذ ... ونزلوا بدار سكينة بنت الحسين ، وأذنت للناس جميعا بالدخول حتى غصت بهـم الدار .... وغنى حنين الحيرى صوته المشهور :ـ

(هلَّا بكيت على الشبابِ الذَّاهِبِ)

والناس يتكاثرون ويتزاحمون على سماعه ، فسقط الرواق علـى من تحته ، فسلموا جميعا وأخرجوا أصحاء ، ومات حنين تحـت الهدم . وقالت سكينة " لقد كدر علينا حنين سرورنا ، انتظرنـاه مدة طويلة كأنا والله كنا نسوقه الى منيته " (٢) .

ومن هذا القبيل أخبار متعددة يرويها أبو الفرج عن ابن سريج وكيف كان يغني بمنى أيام الحج فيجتمع عليه الناس ، ويضيق عليهم الطرق ويصدم بعضهم بعضا انشغالا به وبغنائه (٣) .

(١) الأغاني ٢/٦٤٥ .
(٢) الأغاني ٢/٧٧٣ .
(٣) أنظر الأغاني ١/٢٦١ ، ٣١٧ .

(٨) وفى الأغانى كثير من أخبار شهيرات النساء منهن عائشة بنت طلحة ، وأهمهن سكينة بنت الحسين ، وربما كانت شهرتها فى المشرق كشهرة ولادة بنت المستكفى فى الأندلس تأدبا وتظرفا وذكاء وحضور بديهة على فارق كبير بين الشخصيتين تصونا وتعففا .

وسكينة اشتهرت بمجالسها الفنية والأدبية وهى — كما يصورها ابو الفرج — عالمة أديبة عفيفة تجالس الأجلة من قريش ويجتمع اليها الأدباء والشعراء والمغنون . ويقال أنها كانت أحسن الناس شعرا ، وكانت تصفف جمتها تصفيفا جميلا ، وكانت تلك الجمة تعرف بالسكينية ، ويقال ان عمر بن عبد العزيز اذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه .

(٩) ولعل من أهم ماعرضه الأغانى " صورة العامة " و " عقلية الجماهير " بتصرفاتها العفوية التى تنساق دون تفكير أو تدبير : يقول عثمان الوراق " رأيت العتابى يأكل خبزا على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك أما تستحى ؟ فقال لى : أرأيت لو كنا فى دار فيها بقر كنت تستحى وتحتشم أن تأكل وهى تراك ؟ فقلت لا : قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر " فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه . ثم قال لهم : روى لنا غير واحد : أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار !! فما بقى أحد الا وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه محاولا أن يبلغها ، فلما تفرقوا قال العتابى : ألم أخبرك أنهم بقر ؟؟ !! (١)

ولكن العامة لم يكونوا بهذا الهوان دائما كما يرى العتابى أو على الأقل لم يكونوا بهذه الصورة الغبية فى كل العصور على أن هذا الفعل اللاارادى السريع يمكن أن يصدر عفوا عن الجاهل والمتعلم فى مثل هذا الموقف فى أى عصر من العصور .

---

(١) الأغانى ٤٦٢٦/١٣ .

ومن الروايات مايدل على أن العامة لم يكونوا سقط متاع بل كان لهم مكانتهم وتأثيرهم وخصوصا فى العهود العادلة يدل على ذلك قصة عمر وجبلة بن الايهم الملك الغسانى النصرانى الذى حضر الى المدينة مسلما بموكب هائل مهيب ، وخرج معه عمر الى مكة حاجين ، وأثناء طوافه وطىء رجل فزارى ازاره فانحل فهشم أنف الفزارى ، وفى رواية أخرى يوردها ابو الفرج أن الملك لطم الفزارى فرد عليه اللطمة فوثبت غسان فهشموا أنفه وأتوا به عمر .

واصر عمر على أن يهشم الفزارى أنف الملك قصاصا منه . قال جبلة : ولكننى ملك وهو سوقة . قال عمر : ان الاسلام جمعك واياه فلست تفضله بشىء الا بالتقى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فانك ان لم ترض الرجل أقدته منك . قال جبلة : اذن أتنصر ، قال : ان تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فان ارتددت قتلتك " فطلب جبلة من عمر أن يمنحه مهلة يفكر فيها . فلما نام الناس هرب جبلة بمن معه ، وعاد الى النصرانية . " فسر هرقل بذلك جدا ، وظن أنه فتح من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من النزل ماشاء . وجعله من محدثيه وسماره " (١) .

وقد يقال ان لعدالة عمر وعدالة الاسلام وقرب الناس منه دخلا كبيرا فى مراعاة حقوق عامة الناس فى مجابهة الملوك والكبار والرؤساء ، ولكن هذه " النزعة " ظلت واضحة الى حد كبير فى عصور متأخرة كالعصرين الاموى والعباسى . وفى الأغانى أخبار كثيرة تؤيد ذلك .

وصور أبو الفرج فى الأغانى أحوال العامة وملابسهم ومعتقداتهم ومنتدياتهم وأسواقهم وعاداتهم فى الأفراح والاحزان والمآتم والأعياد . ففى الاعياد مثلا يباح للنساء

(١) أنظر الأغانى ١٥/٥٤٦٥ ـ ٥٤٦٧ .

التزين والظهور للرجال دون تحرج . ففي أخبار جميل أنـــه خرج في يوم عيد والنساء اذ ذاك يتزين .. ويبدون للرجـــال ، وأن جميلا وقف على بثينة وأختها أم الجسير في نساء من بـــني الاحـــب .. .. فرأى منهن منظرا وأعجبنه ، وعشق بثينة ، وقعـــد معهن .... (١) .

ولا شك أن أخبار العامة التي أوردها أبو الفرج تعـــد ذات أهمية كبرى ، لاننا لانعرف عنها شيئا ، فقد دون بعض المؤلفين سير أعاظم الرجال ، وأهملوا حياة الناس حتى كادت أخبـــار العامة تذهب هباء ، فلا يزال بعضنا يسأل بعضا : كيف كـــان الناس يعيشون في تلك العصور ؟ كيف كانت مجتمعاتهم وأنديتهم ونزههم وملاهيهم ، ومآكلهم ومشاربهم ؟ كيف كانت مدارسهـــم . والخلاصة : كيف كانت حياتهـــم ؟ (٢) .

(١٠) ومن ملامح الحياة العلمية والأدبية ماتصوره مئات الأخبار في الاغاني ، ومن أشهرها مجالس سكينة بنت الحسين وهي كثيرة نكتفي بواحـــد منها : —

قال أبو الفرج : أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الزبيري قال : —

اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير ، وراوية جميـــل ، وراوية نصيب ، وراوية الأحوص ، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال : صاحبي أشعر . فحكموا سكينة بنت الحسين لمـــا يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر فخرجوا يتهادون حتى استأذنوا عليها فأذنت لهم ، فذكروا لها الذي كان من أمرهم ، فقالـــت لراوية جرير : أليس صاحبك الذي يقول :

طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا .:.
وقتَ الزيارة فارْجعـــي بسَـــلامِ .

---

(١) الأغاني ٢٨٤٤/٨ (٢) شفيق جبري : دراسة الاغاني ٩٥

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ؟ قبح الله صاحبك ، وقبح شعره ، الا قال : فادخلى بسلام .... ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذى يقول : —

أهيم بدعد ماحييت فان أمت ∴
فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدى

فما أرى له همة الا من يتعشقها بعده ، قبحه الله وقبح شعره . ألا قال :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت ∴
فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى
...... ألخ (١) .

ومن أشهر أصحاب المجالس الخليفة الأموى : عبد الملك بن مروان ، وكان أديبا أريبا نقادة ، يناظر الادباء والعلماء والشعراء ويجادلهم فى أبرع الشعر وأفصح الشعراء ووقائع التاريخ وخصائص العظماء . وكثيرا ماكان يفتتح مجالسه بسؤال يطرحه على جلسائه طرح الذكى الأريب ، ويدلى هو بدلوه بعد أن يستطلع اجابات الحاضرين :

سأل يوما جلساءه ، عن أشجع الناس ، فأكثروا فى هذا المعنى فقال " أشجع الناس مصعب بن الزبير : جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وأمة الحميد بنت عبد الله بن عاصم ، وولى العراقين ثم زحف الى الحرب ، فبذلت له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خلص فى يده ، فأبى قبول ذلك ، وأطرح ماكان مشغوفا به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قدما يقاتل ، مابقى معه الا سبعة نفر حتى قتل كريما (٢) .

---

(١) انظر الأغانى ١٦ / ٥٩٤٧ .
(٢) الأغانى ٢١ / ٧٣٨٨ .

(١١) وزيادة على هذه المجالس التي جاء منها في الأغاني الكثير ، يصور أبو الفرج المعاهد التي يتلقى فيها التلاميذ تعليمهم :

فأبناء الخلفاء والأمراء كان لهم " أساتذة خواص " يتلقون على أيديهم دروس الفقه والعلم والدين والأدب .

كما كان هناك نوعان من " معاهد العلم يتلقى فيهما الصبية الدروس على اختلاف أنواعها .

وأول هذه المعاهد : المساجد . ففي ترجمة الكميت ابن زيد يذكر ابو الفرج أن خلف الاحمر رأى الكميت يعلم الصبيان في مسجد الكوفة (١) .

أما ثاني هذه المعاهد فالكتاتيب . ومن الأخبار التي أوردها أبو الفرج في شأنها :ـ

أ) أن ابراهيم الموصلي تربى مع ولد خزيمة بن خازم في الكتاب . (٢)

ب) وأن البنات كن يختلفن كذلك الى الكتاتيب ويحكى أن رجلا من تجار أهل الكوفة يدعى " علي بن أديم " علق صبية تختلف الى الكتاب ، فكان يجيء الى ذلك المؤدب فيجلس عنده لينظر اليها ، فلما أن بلغت باعها مواليها لبعض الهاشميين ، فمات جزعا عليها (٣) .

فالصبية والجواري اذن كانوا يختلفون إلى المساجد والكتاتيب لحفظ القرآن واتقان القراءة والكتابة . وكان المتفوقون منهم يكافئون ويعلن عن تفوقهم ويحتفي بهم الناس. ومن الاخبار الطريفة في هذا المجال ماجاء في أخبار الشاعر

---

(١) الأغاني ١٨ /٦٢٦٦ .
(٢) الأغاني ١٧٩٩/٥ .
(٣) الأغاني ٥٥٩٧/١٥ .

علی بن جبلة علی لسان الحسین بن عبد الله بن جبلة قال :

كان لجدى أولاد ، وكان علی أصغرهم ، وكان الشيخ يرق عليه ، فجدر ، فذهبت احدى عينيه في الجدرى ، ثم نشأ فأسلم في الكتاب ، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان ، فحمل على دابة ، ونثر عليه اللوز فوقعت على عينه الصحيحة لوزة فذهبت ، فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاق من السلطان ، فان أعنتموني على هذا الصبي والا صرفت بعض أرزاقكم اليه ، فقلنا وما تريد ؟ قال تختلفون به الى مجالس الادب ، قال : فكنا نأتي به مجالس العلم ، ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان ، فما أتى عليه الحول حتى برع ، وحتى كان العالم اذا رآه قال لمن حوله : أوسعوا للبشوى (١) .

وصفوة القول أننا نستطيع أن نستخلص ملامح كثيرة ودقيقة للعصرين الأموى والعباسى بخاصة : حياة كثير من الخلفاء والامراء والجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية ومناحى التفكير وألوان الثقافة وأساليب الحياة ، وطبيعة العلاقات بين الناس في البيوت والأسواق والمجالس والمنتديات .

وقد اجتزأنا بقليل جدا عن كثيرا جدا ، آملا أن يكون هذا القليل كاشفا عن طبيعة الكتاب ومنحاه .

وأخيرا نقول : ان كتاب الأغاني سيظل من أشهر الكتب العربية الواسعة المدى ، الكاشفة عن كثير من جوانب الحياة العربية ، وقد ساعد أبا الفرج على هذا التأليف الموسوعى ، وعلى القدرة الفائقة على هذا التصوير البعيد الشامل عوامل كثيرة من أهمها :

أ) ألمعيته وذكاؤه وحاسته القادرة على الالتقاط والحفظ والرصد .

---

(١) الأغاني ٢٢/ ٧٦٤١ .

ب) أنه كان رجلا طلعة : يقرأ كثيرا جدا ، وقد قيل أنه كان يشترى الكتب والأوراق من الوراقين ويذهب الى بيته ينكب عليها ويلتهمها ، ويأخذ منها مايراه مناسبا ٠

جـ) أنه كاتب مخضرم عاش فى قرنين : فقد عاش فى القرن الثالث أقل من عقدين ، وعاش فى الرابع أكثر من نصفه ٠ وعاش فى بغداد أزهى عواصم الدنيا فقرأ وسمع ورأى ٠ بعد أن بلغت الحضارة العربية دور نضجها ، واتضحت ملامحها متفاعلة مع الحضارات والثقافات الاخرى من فارسية ويونانية وهندية ، وبعد أن بلغت اللغة العربية قمة النضج كذلك وأثبتت قدرتها واستجابتها لمظاهر الحضارة الجديدة ، وبعد أن كثرت التواليف فى النقد ، وأصبح للنقد الأدبى مناحيه ودراساته المختلفة فى كتب جليلة مثل البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد ، كما عاش أبو الفرج فى عصر تلاطمت فيه المذاهب وتلاحمت أو تصارعت فيه التيارات والنزعات الدينية والسياسية من شيعة وخوارج وشعوبية وزندقة وغيرها ٠

د) وكان لطول المدة التى ألف فيها الكتاب أثر كبير فى مادته ومنحاه الفنى والمنهجى ، فقد استغرق تأليف الكتاب قرابة نصف قرن كما يقال ، وهى مدة تمكن صاحبها من حشد مادة علمية لها قيمتها وألوانها المتميزة فى هذا المدى الطويل ٠

كل أولئك ساعد أبا الفرج ولا شك فى تكوين رصيد ضخم ومادة عظيمة خصبة فى كتابه العظيم ٠

منهج أبى الفرج وسماته الفنية والفكرية :

(١) جاء فى مقدمة الأغانى : " لعل بعض من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبوابا على طرائق الغناء أو على طبقات المغنيين فى أزمانهم ومراتبهم أو على ماغنى به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على مانحوناه علل :

منها : أنا لماجعلنا ابتداء ، الثلاثة الاصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ، وأولهم أبو قطيفة ، وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عمر بن أبى ربيعة ثم نصيب ، فلما جرى أول الكتاب هذا المجرى ولم يمكن ترتيب الشعراء فيه ألحق آخره بأوله ، وجعل على حسب ماحضر ذكره ، وكذلك سائر المائة الصوت المختارة ، فانها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنيين ، وليس المغزى فى الكتاب ترتيب الطبقات ، وانما المغزى فيه ماضمنه من ذكر الأغانى بأخبارها ، وليس هذا مما يضر فيها .

ومنها أن الأغانى قلما يأتى منها شئ ليس فيه اشتراك بين المغنيين فى طرائق مختلفة لايمكن معها ترتيبها على الطرائق اذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنيين أولى بنسبة الصوت اليه من الآخر .

ومنها أن ذلك لولم يكن كما ذكرنا لم يخل فيها — اذا أتينا ب بغناء رجل (رجل) وأخباره وما صنف اسحاق وغيره — من أن نأتى بكل ما أتى به المصنفون والرواة على كثرة حشوه وقلة فائدته وفى هذا نقض ما شرطناه من الغاء الحشو ، وأن نأتى ببعض ذلك فينسب الكتاب الى قصور عن مدى غيره ، وكذلك تجرى أخبار الشعراء فلو أتينا بما تغنى به فى شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى تفرغ منه لجرى هذا المجرى ، وكانت للنفس عنه نبوة ، وللقلب عنه علة ، وفى طباع البشر محبة الانتقال من شئ الى شئ والاستراحة من معهود الى مستجد ، وكل منتقل اليه أشهى الى

النفس من المتنقل عنه والمنتظر أغلب على القلب من الموجود ، واذا كان هذا هكذا ، فما رتبناه أحلى وأحسن ، ليكون القارىء له بانتقاله من خبر الى غيره ، ومن قصة الى سواها ، ومن أخبار قديمة الى محدثة ، ومليك الى سوقة ، وجد الى هزل انشط الى قراءته وأشهى الى تصفح فنونه ، لاسيما والذى ضمناه اياه أحسن جنسه وصفو ما ألف فى بابه ، ولباب ما جمع فى معناه ... (١) .

فمن هذا الجزء من المقدمة ومن مطالعة الكتاب كذلك يتضح لنا أنه غير مقسم الى أبواب معينة على أساس موضوعى أو أساس زمنى أو أساس فنى كما درج المؤلفون قديما وحديثا ، ولكنه كما أشرنا من قبل معرض ضخم واسع رحيب لفن الغناء والموسيقا وتراجم الأشخاص والوقائع والمواقف والاحوال بلا تقسيم أو تصنيف رتيب .

وكأن أبا الفرج — كما يظهر فى المقدمة — قد شعر بغير قليل من الحرج تجاه مسلكه هذا ، وشعر بانكار محتمل من القارىء فبرر منهجه هذا فى الأغانى بما يأتى : —

أ) أنه بدأ الكتاب بثلاثة الاصوات الرئيسية لثلاثة شعراء متأخرين هم أبو قطيفة وعمر بن أبى ربيعة ونصيب ، وأن المعول عليه هو الغناء لا التاريخ والتراجم . وبقية الأصوات المائة لمغنين وشعراء مختلفين فى العصور . فالصوت هو الاساس الذى يستدعى الحديث عن المغنى أو الشاعر .

ب) تداخل الطرائق والمناهج الفنية للموسيقيين والمغنين ومن ثم يصعب تقسيم الكتاب أبوابا على أساس الاصوات .

جـ) لو رتب الكتاب على أساس شخصيات الشعراء والمغنين مع الاتيان فى كل ترجمة بكل مايتعلق بشخصية الشاعر — أو المغنى من شعر وغناء لترتب على ذلك كثرة الحشو من ناحية ، والاملال من ناحية أخرى .

واعتمادا على هذه المبررات جعل أبو الفرج كتابه مبنيا على ما يمكن أن نسميه " الاستطراد المقيد " : فقد جعل الصوت أساسا ومنطلقا لما يورده من سير المغنيين أو الشعراء أو أخبار الوقائع والأيام . فالاستطراد هنا مقيد - غالبا - بالصوت الذى يعرضه أبو الفرج ، وهذا الاستطراد يقتضى كما هو واضح عدم التزام الترتيب التاريخى من ناحية ، والعودة - ربما بعد آلاف من الصفحات الى الموضوع من جديد من ناحية أخرى لأن صوتا من الأصوات اقتضى ذلك . والأمثلة الموجزة السريعة الآتية توضح هذه السمة :-

أ) ترجمة عمر بن أبى ربيعة الشاعر الأموى ترد فى الجزء الأول بينما ترد أخبار حسان بن تبع ملك حمير الجاهلى فى الجزء السادس والعشرين اعتمادا على صوت غناه له أحمد النصبى (١) .

ب) وفى الجزء الثامن تأتى ترجمة جميل مفصلة ، ثم يعود أبو الفرج الى ذكر بعض أخباره فى ثلاث صفحات فى الجزء ٢٦ انطلاقا من بيتين غناهما له اسحاق (٢) .

جـ) والمطرد أن يتخذ أبو الفرج من الصوت منطلقا لإيراد ترجمة الشاعر أو المغنى على النحو التالى :-

صوت

ياهندُ إنكِ لو علمْـ	ـتِ بعاذلين تتابعـا
قالا فلم أسمع لما ∴	قالا وقلت بل اسمعا
هند أحبّ إلى من ∴	أهلى وروحى أجمعَا
ولقد عصيتُ عواذلى ∴	وأطعتُ قلبًا موجعَا

---

(١) الأغانى ٢٦ / ٩٠٥٨ .
(٢) السابق ٩٠٥٤ .

الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ، والغناء لابن سريج ، ولحنه فيه لحنان : أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن اسحاق ، والآخر رمل بالوسطى عن عمرو وفيه خفيف ثقيل ... الخ . ثم يورد بعد ذلك ترجمة عبد الله بن الحسن . (١)

وقد يكون الصوت منطلقا للحديث الطويل عن يوم من أيام العرب . كالصوت الذي يغنيه اسحاق لشعر نظمته أميمة بنت عبد شمس وأوله :

أَبَى ليلى أَنْ يَذْهَبْ ∴ ونيطَ الطرفُ بالكوكَبْ

نظمته أميمة في قتلى حرب الفجار . ثم يورد أبو الفرج (ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ) (٢) .

وقد يكون الصوت منطلقا الى عرض ظاهرة أدبية معينة كخلوص أبي الفرج من صوت من شعر جرير الى (ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل) (٣) .

(٢) وجانب هذه السمة الرئيسية التي تتعلق بتخطيط الكتاب ومنهجه العام نلمس تنوعا لاحصر له في المادة وتلوينا فيها ، كما أشرنا اكثر من مرة فمع أن الكتاب وضع " للأغاني " نجده سجلا حافل الأرجاء بحياة الرجال والنساء وملامح المجتمعات والخلفاء والامراء واخبار العامة وطبائع الناس والقبائل وأيام العرب والحياة في الدور والشوارع والأسواق .

---

(١) الأغاني ٢٤/ ٨٣٠١ .
(٢) أنظر الأغاني ٢٥/ ٨٧٥٤ .
(٣) الأغاني ١١/ ٣٨٤٦ .

وكان هذا التنوع والتلون " فى مادة الكتاب هدفا ذكره أبو الفرج صراحة فى المقدمة الضافية التى صدر بها كتابه ، واعتبر هذا التنوع حسنة من حسنات الكتاب يجب ألا تنكر .

(٣) وفى الكتاب يَشْتَدّ هُنا التكرار على أوسع مدى ونلتقى فى الكتاب بنوعين من التكرار .

الأول : هو التكرار الموضوعى " : وأعنى به العودة الى الحديث مرة أخرى عن موضوع أو غرض سبق تناوله باتساع ورحابة . فالتكرار هنا يعنى " رأس الموضوع ، لا مضامينه . وغالبا ما يكون هذا التكرار " ضميمة فرعية " الى حديث مفصل فى الموضوع الذى سبق تناوله بآلاف الصفحات كما ألمعنا من قبل الى ماذكره أبو الفرج فى أخبار جميل بثينة (١) .

الثانى : هو " التكرار الفكرى " ويظهر فى الحاح أبى الفرج بروايات متعددة على واقع واحد أو مسألة واحدة على ضآلة الخلاف فى المضمون ، والامثلة فى هذا المجال أكثر من أن تحصى :

فهو ينقل عن الشاعر الشيعى السيد الحميرى أنه كان من عادته أن ينظم شعرا ما يسمعه نثرا من فضائل على بن أبى طالب بل كان يتحدى ويراهن " من جاء ، بفضيلة لعلى بن أبى طالب لم يقل فيها شعرا أعطاه فرسه أو أعطاه دينارا ... الخ .

ويروى أبو الفرج اكثر من مرة .. من طرق متعددة بألفاظ مختلفة قصة من تلك القصص " العلوية . وخلاصتها : أن عليا عليه

---

(١) وأنظر كذلك : الاغانى ٦/٢٣٢٢ — ٢٣٣٣ (أخبار بشار وعبده ، خاصة اذ كانت أخباره سوى هذه تقدمت) مع أنه أورد الترجمة الاصلية من قبل فيما يزيد على مائة صفحة (ج ٣ / ٩٨١ — ١٠٩٦) .

السلام لبس ثيابه ، وأراد لبس الخف ، فلما لبس أحد الخفين انقض عقاب من السماء على الآخر وحلق به ثم ألقاه فسقطت منه حية عظيمة قد خلت جحرا ، وحمى الله عليا من موت محقق ، فأنشد السيد الحميرى قصيدة على البديهة مضمونها الواقعة المذكورة . ومطلع القصيدة

ألا ياقومُ للعجبِ العجابِ ∴ لخفِّ أبى الحسين وللحُبابِ (١)

وهذا النوع الأخير من التكرار يسهل تبريره : فهى كلها روايات وأخبار يتمم بعضها بعضا ، أو بتعبير أدق يقوى بعضها بعضا ، اذ يرد الخبر الواحد من طرق مختلفة ، وربما كان ذلك فى وقت واحد أو أوقات متعددة . ويحرص أبو الفرج على تسجيل مايسمع مسندا الى أصحابه . وهذه الروايات المتعددة وان قل أو انعدم الخلاف بينها فى المضمون الفكرى تتضافر كلها مشتركة فى رسم الصورة أو ترسيب المعنى الذى يحرص أبو الفرج على عرضه وترسيبه .

ولكن بماذا يحلل النوع الأول الذى أطلقنا عليه " التكرار الموضوعى " والذى يتلخص — كما أشرنا — فى تناول الموضوع الواحد فى أكثر من موطن ، وفى أجزاء متباعدة ؟ .

لنعرض للاحتمالات الممكنة لتحليل هذه الظاهرة وتبريرها خلوصا الى اقربها من الصواب :

أ) تعمد أبى الفرج ذلك حرصا على هدف أساسى من أهداف الكتاب وهو " التنويع والتلوين " دفعا للملة والسأم .

وهو احتمال مستبعد لأن " الاضافات الجديدة ، تختلف فى مضامينها وألفاظها ورواتها غالبا عما كتبه أبو الفرج سابقا فى الموضوع ، وايرادها مع ما سبقها لايخل بقاعدة التلوين والتنويع التى جرى عليها بل يتسق وينسجم معها .

---

(١) أنظر الأغانى جـ ٧ من ص ٢٦٩٦ الى ص ٢٦٩٩ .

ب) أن تكون هذه الاضافات من مرويات أبى الفرج ولكن من كتب أخرى له قام نساخ الأغانى بانتزاعها من هذه الكتب وأضافوها الى الأغانى دون مراعاة " الوحدة الموضوعية للغرض الواحد . والدكتور خلف الله لايستبعد هذا الاحتمال فى نطاق معين — وقد مثل لذلك بحديث أبى الفرج عن يوم رحرحان ، وحديثه عن شعب جبلة فقد ختم هذين الموضوعين بعبارة هى (تم بحمد الله) ولم تكن هذه العبارة من لوازم أبى الفرج فى الأغانى بالنسبة لموضوعاته المتعددة . ومن ثم يرجح أن يكون الموضوعان قد انتزعهما النساخون من كتاب آخر لأبى الفرج وهو " كتاب أيام العرب " وأضافوهما لكتاب الأغانى (١) .

ولكن ماساقه الكتاب — على فرض صحته فى الحدود التى ذكرها على سبيل الحصر — لايصلح تبريرا أو قاعدة مطردة تصلح لتعليل التكرار الموضوعى بالنسبة لشخصيات أمثال بشار وجميل وعمر بن أبى ربيعه .

جـ) أما الاحتمال الثالث الذى ترجحه فخلاصته أن أبا الفرج ألف كتابه هذا الضخم فى قرابة نصف قرن أى أنه استغرق من عمر كاتبه قرابة أربعة أخماسه ، وفى أثناء هذا المدى الزمنى الطويل كان أبو الفرج يلتقى بأخبار جديدة عن موضوعات سبق له عرضها وتسجيلها بأسهاب وتفصيل . وربما انتهى منها من سنوات طويلة سبقت . فلم يستنكف من اضافتها باجزاء لاحقة . وخاصة أن الوحدة الموضوعية أو التقسيم الموضوعى المبوب لم يكن يهمه فى شىء .

ولكنه قد يصرح أحيانا بما يدل على أن المادة العلمية التى تكون نسيج الشخصية فى حوزته ، ولكنه يذكر بعضها فى أماكن أخرى لاحقه عن عمد ، وهذا الارجاء أو الترحيل لتعلقها بفن من الفنون يحرص على ابرازه . أو بشخصية أخرى سيتحدث عنها . فهو يذيل ترجمة بشار

---

(١) أنظر كتابه (صاحب الأغانى) ٢٣٧ — ٢٣٨ .

التى استغرقت أكثر من مائة صفحة بقوله " .. ولبشار أخبار كثيرة قد ذكرت فى عدة مواضع منها أخباره مع عبد ، فانها أفردت فى بعض شعره فيها الذى غنى فيه المغنون ، وأخباره مع حماد عجرد فى تهاجيهما فانها افردت ، وكذلك أخباره مع أبى هشام الباهلى ، فانا لم نجمع جميعها فى هذا الموضع اذ كان كل صنف منها مستغنيا بنفسه حسبما شرط فى تصدير الكتاب " (١) .

(٤) ولعلنا فى مجموع الاخبار التى عرضنا بعضها فيما سبق على سبيل الاستشهاد - نستطيع نلمس عن كثب براعة أبى الفرج فى تصوير كل ماعرض له : فهو بارع فى تصوير ظواهر المجتمع فى الأسواق والمحافل ومواكب الحج والقصور والعادات والتقاليد ، ونحيل القارئ اليها ليتبين هذه القدرة من جديد ، ولكننا استكمالا للتدليل على هذه السمة نعيش مع ريشة أبى الفرج وهى ترسم مجلسا من مجالس الجاهلية لملك مخضرم هو جبلة بن الايهم وقد شهد حسان بن ثابت فى هذا المجلس: عشر قيان : خمسا روميات يغنين بالرومية بالبرابط ، وخمسا يغنين غناء أهل الحيرة ... وكان اذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك فى صحاف الفضة والذهب ، وأتى بالمسك الصحيح فى صحاف الفضة ، وأوقد له العود المندى ان كان شاتيا . وان كان صائفا بطن بالثلج وأتى هو واصحابه بكسا صيفية يتفضل هو وأصحابه بها فى الصيف ، وفى الشتاء الفراء الفنك وما اشبهه ..... (٢) .

والأصبهانى فى هذه المجالس خاصة قد يرعلى رصد مافيها من هيئات وشارات وحركات وحوار فى حيوية وتدفق كأنها مازالت مجسدة نابضة أمام نواظرنا سواء أكانت مجالس غناء وطرب وترف ومجون أم كانت مجالس علم وأدب . وقد عرضنا أمثلة ونماذج منها ، وكلها كما قلنا دال على ملامح المجتمع وطوابعه .

---

(١) الأغانى ٣ / ١٠٩٦ .
(٢) الأغانى ٨/ ٦٤٥٣ .

وكان أبو الفرج كذلك قديرا بارعا فى رسم ملامح " الشخصية الانسانية " بأبعادها الثلاثة .

أ) البعد الحسى المادى الذى يعنى الملامح والقسمات والمظاهر الخارجية للشخصية .

ب) البعد الداخلى أو النفسى والعقلى والروحى الذى يشمل أخلاقيات الشخصية وقيمها وحظها من القدرة العقلية والروحية .

جـ) البعد الاجتماعى ويعنى العلائق التى تربط بين الشخصية والمجتمع ومدى تفاعلها معه واستجابتها لطوابعه السياسية والاخلاقية والمذهبية ، أو هو فى ايجاز " مركز الشخصية " فى المجتمع الذى تعيش فيه .

ومن هذه الأبعاد الثلاثة يتكامل نسيج الشخصية الانسانية ، وبالروايات التى يوردها أبو الفرج تترى ـ وكثير منها متشابه نفس المضمون ـ تتضح ملامح الشخصية وتتكامل فى كيانها المادى والمعنوى والاجتماعى .

فابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم شناطا (أى لا لحية له أو خفيف العارض) فى عينيه قبل (حول) بلغ خمسا وثمانين سنة وصلع فكان يلبس جمة مركبة (باروكة) ... وكان لايغنى الا مقنعا يسبل القناع على وجهه ...

ويفصل ابو الفرج ـ بروايات تالية ـ مايوضح بعض هذه السمات أو يعلل لها أو يبرز وقعها فى نفوس الآخرين : فابن سريج اذا لبس الجمة (يكون فيها أحسن شيء) . وما فى عينيه من قبل (حلو لايبلغ أن يكون حولا) . ولكن يظهر أن ابن سريج كان يتحرج من هذه السمة فى عينيه (فكان اذا غنى سدل قناعه على وجهه حتى لايرى حوله ..... (١) .

(١) أنظر الأغانى ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

أما مكان ابن سريج في نفوس الآخرين فيصوره أبو الفرج في هذه الجملة العجيبة " كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له مايشتهي "(١) ... وهو تصوير نادر الوجود في العربية ولكأن تتخيل انسانا خلق من قلوب الآخرين ، ففي بدنه وروحه قطعة من قلب انسان آخر تحركه ليغني له مايشتهيه ويحبه .

ونستطيع أن نلمس قدرة الاصفهاني على تصوير المشاعر النفسية وتجسيدها فهو يصور تأثير غناء ابن سريج في الناس " فكأن القوم قد نزل عليهم السبات ، وأدركهم الغشي فكانوا كالاموات ، ثم أصغوا اليه بآذانهم ، وشخصت اليه أعينهم ، وطالت اعناقهم " (٢) .

وتمضي ملكة التصوير لتستوفي بناءها الفني وتحديد المركز الاجتماعي " للشخصية وامتداداتها في البيئة التي تعيش فيها ففي ترجمة ابن سريج يعرض أبو الفرج أولياته في الفن وآراء الآخرين فيه من أهل الخبرة مثل ابراهيم الموصلي واسحاق الموصلي وعلاقته في مجال الفن بالغريض ومعبد وسليمان بن عبد الملك وغيرهم .

والناس لايهمهم من المغني على مدار العصور الا عنصر الأداء . ولكن ابا الفرج استيفاء للصورة ووفاء لها يعرض لجانب من شخصية المغني قد لايلتفت اليه الآخرون وهو الجانب النقدي أو التقييمي " لشخصية المغني " كما يجب أن يكون وهو جانب لاتغذيه الموهبة الفطرية فحسب ولكنه يسترفد كذلك الممارسة الطويلة والدراسة الواعية التي تضع صاحبها موضع " الاستاذ المحكم المسئول " فينقل عن العتابي رأى ابن سريج في المغني في صورته المثلى . يقول : ابن سريج " المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الالحان ، ويملأ الانفاس ، ويعدل الاوزان ، ويفخم الالفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الاعراب ، ويستوفي النغم الطوال ، ويحسن مقاطيع النغم القصار ، ويصيب أجناس الايقاع ، ويختلس

---

(١) المصدر السابق ٢٥٢ .
(٢) المصدر السابق ٢٧٨ .

مواقع النبرات ، ويستوفى مايشاكلها فى الضرب من النقرات ... " (١)

وعلى هذا النسق تمضى ملكة التصوير عند أبى الفرج فى كل مايورد ، من تراجم وأحداث ومواقف ..

(٥) ولم يخل الأغانى من نظرات نقدية بصيرة وأحكام تنم على ذوق رفيع على الرغم من أن الكتاب ليس من كتب النقد ، ولم يكن النقد والتقييم الفنى للادب هدفا من أهدافه . الا أن النماذج النقدية التى جاءت فى تضاعيف الكتاب تشهد لأبى الفرج ببصيرة نقدية قادرة . ولنجتزئ بمثال واحد من نقده ..

قال أمرؤ القيس :

كَطرَقَتْكَ هندُ بعدَ طولِ تَجَنُّبِ ∴ وَهْناً ولم تَكُ قبلَ ذلك تَطْرُقُ

وهى قصيدة طولة ، وأظنها منحولة لأنها لاتشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بين ، وما دونها فى ديوانه أحد من الثقات... الخ (٢) .

فهو يثير قضية النحل ، ويشير الى الأسس التى يجب أن يعتمد عليها الناقد فى نسبة الشعر الى صاحبه بتبين ملامحه الفنية وطوابعه الفكرية والجمالية فى شعره ، ليرى الناقد مدى اتفاق القصيدة مع المذهب الفنى للشاعر .

ومنها مدى اتفاق القصيدة مع التيار الفنى السائد فى عصر الشاعر . فاذا ماتركنا هذين الاساسين أو المعيارين اللذين يتعلقان " بجوانيه " القصيدة . يلفتنا أبو الفرج الى معيار ثالث وهو " أخلاقيات الراوى والناسخ " . ومن ثم نراه يميل الى القول بنحل قصيدة أمرئ القيس لانه لم يدونها فى ديوانه " أحد من الثقات " .

---

(١) السابق ٣١٥ .
(٢) الاغانى ٩/ ٣٢١٧ .

ولعل أشهر من أثار قضية نحل الشعر الجاهلى طه حسين فى كتابه عن هذا الشعر ، وهو الكتاب الذى أحدث ضجة كبرى فى الأوساط الادبية والدينية والسياسية . والذى يراجع هذا الكتاب يرى أن طه حسين قد استند — ضمن ما استند اليه — الى المعايير التى أخذ بها أبو الفرج فى نقده لقصيدة أمرئ القيس .

(٦) والأداء التعبيرى عند أبى الفرج أداء عصرى بكل مافى هذه الكلمة من معنى ، ولا نقصد بالعصرية تمثيلة لطوابع عصره التعبيرية فحسب ، فذلك لايستطيع أحد انكاره خصوصا بالنسبة لكثير من الكلمات الشعبية أو المعربة التى كانت تجرى على الالسنة فى عصره ، وكذلك بالنسبة لما نسخه من كتب الآخرين فى تضاعيف كتابه وصرح بنسخه عنهم وكذلك بالنسبة للمصطلحات والأسماء الفنية " فى مجال الغناء والشعر والشراب والمعاملات الاجتماعية وما يدور فى هذا الفلك فكل أولئك " قوالب جاهزة يستخدمها ابو الفرج وغيره من كتاب القرنين الثالث والرابع ولا مجال للاجتهاد " أو التصرف فيها .

ولكننا نعنى " بعصرية أسلوب الاصفهانى " حداثته بمفهومنا الآنى : أسلوب سهل واضح متدفق لايستعصى فهمه على انسان العصر الحديث : لا أقول المثقف ولكن أقول المتعلم : نعم هو أسلوب يمضى مترسلا متدفقا فى تتابع وتسلسل طبيعى بلا تصيد أو تكلف كأنه أسلوب كاتب يعيش فى عصرنا لا عصره .

وتظهر سمة الوضوح والسهولة — بصفة خاصة — فى أسلوبه المتحرر الذى يعتمد فيه على مادته العلمية الخاصة دون التقيد برواية مسندة أو نسخ من كتب غيره . فانظر الى هذه السمة التى تظهر فى حديثه المرسل عن نسب الحطيئة : .

" الحطيئة لقب لقب به ، واسمه جرول بن أوس بن مالك . . . . وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم . متصرف فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد فى ذلك

أجمع ، وكان ذا شروسة ونسبه متدافع بين قبائل العرب وكان ينتمى الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام : فأسلم ثم ارتد .. ويكنى الحطيئة أبا مليكة ، وقيل أن الحطيئة غلب عليه ولقب به لقصره وقربه من الارض .. " (١) .

فالأسلوب هنا فى ترسله وسهولته ووضوحه كأنه لكاتب معاصر يكتب بأداء لا يصعب فهمه حتى على أنصاف المتعلمين .

ولكن هذه الحكم العام على أسلوب أبى الفرج فى الأغانى قد تهتز ثقة القارئ فيه اذا ما اصطدم بكثير من الغريب الحوشى فى بعض الأخبار كالخبر الذى اسنده الاصفهانى الى رياح بن أبرد ، وفيه من الغريب الالفاظ الاتية :

- الأهضام (جمع هضم وهو المطمئن من الأرض .
- الطراف (بيت من أدم ليس له سترة فى مؤخره) .
- العيمة (شهوة اللبن) .
- أمرأة برزة (متجاهرة تختلط بالناس ولكنها عفيفة) .
- لبأ (أول اللبن عند النتاج) .
- الرسل : اللبن .
- الغف : الرقيق من الثياب (٢) .

ولكن وجود هذا الغريب ينقض الحكم العام الذى ذكرناه فنسبته قليلة بالنسبة لحجم الكتاب ، ولكنه مع التسليم بقلته قد يستغرب من كاتب يحرص على السهولة والوضوح ، ومن ثم كان ايراد هذا القليل يحتاج الى تبرير ، والخلوص الى هذا التبرير يقتضينا الاجابة على السؤال الآتى : هل أسلوب الأغانى أسلوب انشائى أم أسلوب نقلى ؟ أو بتعبير آخر : هل كان أبو الفرج يكتب ما يكتب بأسلوبه فى حرية مطلقة ؟ أم كان يكتب ملتزما النسق التعبيرى للروايات التى يسمعها أو يقرأها ؟

---

(١) الأغانى ٥٧٥/٢ .

(٢) أنظر الخبر فى الأغانى ٧٣٦/٢ (والشرح من عمل المحقق ابراهيم الابيارى فى هامش الكتاب) .

ان اجابة السؤال تقتضينا التعرف على مصادر مادة الكتاب في أصولها الأولى ، ومصادر الأغاني وروافده تكاد تنحصر في ثلاثة :

أ) ما اعتمد فيه أبو الفرج على معلوماته العامة وأورده في الكتاب دون اسناد . وهو قليل بالنسبة لمادة الكتاب . ومثاله ما سقناه من قوله في نسب الحطيئة .

ب) ما سمعه من شيوخه وأساتذته ومثقفي عصره وسجله سندا ، ومن أشهر من سمع وأخذ عنهم : أبوه وعمه وأحمد بن جعفر جحظة ، والحرمي بن أبي العلاء والأخفش وغيرهم ، وهو دائما يسجل ما سمع سندا (أخبرني فلان قال حدثنا فلان ... ألخ) .

جـ) ما نقله من كتب غيره : كالحرمي بن أبي العلاء وهارون بن علي ، وهو يلتزم الأمانة العلمية فينص على هذا النقل (نسخت من كتاب فلان ....) ولكنه للأسف - على الرغم من حرصه على ذكر المؤلف - لا يذكر اسم الكتاب الذي نقل منه . ولا شك أن هذا مأخذ واضح يسجل على أبي الفرج لأن من نقل عنهم لا يقف تأليفهم عند كتاب واحد ، كما أن كثيرا من كتب هؤلاء تائه أو مفقود . واغفال أبي الفرج ذكر اسماء الكتب التي نقل عنها يبدو أشد غرابة ونحن نراه حريصا كل الحرص على التزام الدقة في اسناد الروايات والاخبار الشفوية من طرق متعددة ، حتى ليبدو أبو الفرج احيانا وكأنه أكثر حرصا على الاسناد منه على مضمون الخبر .

وما نسخه أبو الفرج من كتب غيره يعد قليلا بالنسبة لما سمعه شفاها وسجله سندا في كتابه ، وترجع قيمة ما نسخه في كتابه من هذه الكتب الى أن كثيرا منها ان لم يكن أغلبها قد فقد ولا وجود له في المكتبة العربية الآن .

ونحن نقطع بأن ما نسخه أبو الفرج من هذه الكتب التزم فيه حرفية المنقول ، فهو منقول بلفظه ومعناه دون تصرف منه لأنه لا مبرر فنيا أو موضوعيا للتصرف ، كما أنها كانت كتبا معروفة على أيامه وكثير

منها كان كتابه أحياء معاصرين لابن الفرج • فأسلوب المنقول من هذه الكتب فى الأغانى هو أسلوب اصحابها على وجه اليقين •

كما أن ماسجله فى كتابه دون أسناد هو أسلوبه على وجه اليقين أيضا •

فلم يبق الا ماسمعه شفاها وسجله مسندا فى الأغانى وهو يستغرق أغلب الكتاب : هل كان يسجله — كما سمعه لفظا ومعنى — أم كان أبو الفرج يتحرر ويسجله بأسلوبه الخاص مع المحافظة على المضمون الفكرى ؟ •

وأنا أرجح الاحتمال الثانى للأسباب الآتية :

أ) أن أخبار الأغانى الشفوية لم تمل على أبى الفرج • ولكنه تلقاها سماعا • ولم يسجلها حال سماعه لها • بل كان يسجلها فى بيته بعد عودته اليه • فكان هناك فترة زمنية — لساعات أو لأيام — بين السماع والتسجيل مما يصعب معه نقل الخبر وتحريره حرفيا •

ب) أن كثيرا من هذه الأخبار المسموعة كانت من الطول بحيث يصعب تسجيلها بألفاظها كما سمعت (١) •

جـ) أن أبا الفرج نفسه قد ذكر صراحة فى كثير من هذه الأخبار أنه اعتمد على ذاكرته وحفظه القديم فيما سجل : فهو على سبيل التمثيل يذيل احدها بقوله : " ... كذا أكبر حفظى أن جحظة حدثنى به عن على بن يحيى فانى كتبته من حفظى " (٢)

---

(١) ومنها على سبيل التمثيل ذلك الخبر الذى رواه ابو الفرج شفاها عن محمد بن عباس اليزيدى وهو خبر طويل يستغرق قرابة عشر صفحات (الأغانى ١٨/٦٤٧٤) •

(٢) الأغانى ١٢/٤٢٥٢ •

ويفهم من هذا أن بين السماع والتسجيل مدة طويلة والا ماسمى ذلك حفظا .

وأصرح من ذلك قوله بعد أحد الاخبار فى ترجمة ابى الاسود الدؤلى " ... هذا حفظته عن أبى جعفر وأنا حديث السن ، فكتبته من حفظى ، واللفظ يزيد وينقص ، وهذا معناه " (١) .

ويفهم من هذا التصريح أن بين الخبر مسموعا والخبر مكتوبا سنوات طويلة وربما عشرات السنين .

وكل أولئك يرجح أن أغلب مافى كتاب الأغانى من روايات شفوية ـ وهى معظم الكتاب ـ مروى بمعناه لابلفظه ، وأن الأداء التعبيرى فى معظمه لأبى الفرج . ويرقى هذا الترجيح الى مرتبة القطع فيما كتبه اعتمادا على معلوماته دون اسناد أو ماصدره بقوله (رووا أو وروى بعضهم ، أو زعم بعضهم ...) دون ذكر أسماء الرواة .

وكلما كانت الفجوة الزمنية واسعة بين السماع والتسجيل كانت أصالة أبى الفرج فى الاداء التعبيرى أظهر وأوضح . أما الأخبار التى كثر فيها الغريب فنحن نرجح أن أبا الفرج سجلها فى آبائها وهى قريبة من ذهنه ، دانية من مخيلته فسهل عليه أن يسجلها بألفاظها أو بألفاظ قريبة من أسلوبها ، وان خالفت سمته الغالبة فى الوضوح والسهولة والتدفق .

هذا بالنسبة للأخبار التى يزدحم فيها الغريب والتى نرجح أن أبا الفرج رواها بلفظها ومعناها . ومثلها مايقطع أبو الفرج أنه رواه بلفظه أو مايفهم منه أنه لم يعتمد فيه على حفظه . ويبقى بعد ذلك للكتاب " أسلوبه المصرى " بما فيه من سهولة ووضوح وتدفق وترسل .

(٧) وقد أخذ على أبى الفرج كثير من العيوب والمآخذ فى كتابه الأغانى ومن أهمها (٢) .

---

(١) السابق ٦٤ ، ٤٤ (٢) أنظر مكى : مصادر الادب ٢٠٤ ـ ٢٠٦

أ) اهتمامه بسرد الجوانب الانسانية الضعيفة في حياة الشعـــرا ء من خلاعة ومجون وانحراف وأهمل الجوانب الجادة الرزينـــــة فيها مما يعطى انطباعا بأن بغداد كانت مسرحا للفساد والانحراف والضياع الخلقي • مع أنها كانت منارة العلم والأدب والفقــــه والتصوف ، وعاش فيها على أيام أبي الفرج ثلاثة من كبـــــار المتصوفة هم : أبو بكر الشبلي والخلدى وأبو محمد عبد اللـــه بن محمد المرتعش •

ب) أنه في سبيل الامتاع جنى على التاريخ فأهمل من الأخبار ماليس جذابا على أهميته ، وأورد منها ما كان قليل الأهمية أو ضعيفـــا لجاذبيته وطرافتـه (١) •

جـ) اغفاله ترجمة أبي نواس مما دفع ابن منظور المصرى مختصر الأغاني الى تأليف كتاب كامل بعنوان (أخبار أبي نواس) •

كما أنه لم يعط ابن الرومي حقه في كتابه فلم يذكره الا فـــي موقفين يسيئان اليه : في الاول عرضه سارقا منتحلا لبيـــــت من الشعر وفي الثانية قدمه لنا هاجيا في موقف لا يحســــــن فيـــــه الهجــــاء •

د) أنه اعتمادا على ما كان يلتقطه من أخبار القصاص الواهية ـ أساء الى بعض الشخصيات الاسلامية ذات التاريخ المشرق مثـــل شخصية هارون الرشيد الذى أظهره بمظهر اللاهى الحريـص على معاقرة الخمر • وقد دافع ابن خلدون عن الرشــــيد ـ بخاصة ـ دفاعا قويا ونفى عنه الشرب والسكر وتساءل مستنكرا " •••• وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصـــب

---

(١) وكثير من هذه الأخبار بيّن الكذب والوضع والتهافت ، كالذى رواه من أن " الحسن والحسين كان عليهما تعويذتان حشوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام " (الأغاني ١٦/٥٩١٧) •

الخلافة من الدين والعدالة ، وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ... وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها ؟

حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ... وقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبي نواس لما بلغه من انهماكه في المعاقرة حتى تاب وأقلع ، وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق ... وأما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامه بها .. فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من أكبر الكبائر عند أهل الملة ... " (١)

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٨ ـ ١٩

وقد رد شفيق جبري على ابن خلدون ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ في كتابه دراسة الأغاني ردا يعتمد في جملته على ركيزتين :

الأولى : أن ابن خلدون لم يورد من الأخبار عن الرشيد وأمثاله ما ينفي عنهم معاقرة الخمر .

والثانية : أن الرشيد مات دون الخمسين بسبب اللهو والخمر ... الخ وما ساقه جبري لا يستقيم ردا لأن ابن خلدون أورد في النص السابق ما يدل على تدين الرشيد واستقامته .

ومن الثقاة الصالحين من يموت في شبابه أو كهولته كعمر بن عبد العزيز الذي مات دون الأربعين من عمره ومن اللاهين المنحرفين من يعمر كأبي نواس الذي جاوز الستين من عمره وأبي الفرج الذي جاوز السبعين .

هـ) وصاحب الأغاني يخطئ في روايته على قلة فهو يقول عن ابن ميادة انه " شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين ، وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة وقرن به عمر بن لجأ ، والعجيف العقيلي والعجير بن عبد الله السلولي " ولم يورد ابن سلام في كتابه " طبقات فحول الشعراء " ابن ميادة ، وعد عمر بن لجأ في الطبقة الرابعة ، وأورد شيئا من شعره ، ولم يذكر العجيف ، وأورد العجير في الطبقة الخامسة (١) .

ولكن على الرغم من هذه النقود التي وجهت الى كتاب الأغاني سيظل الكتاب معلما من معالمنا الفكرية ، ومصدرا من أهم المصادر العربية في التراث العربي والانساني .

---

(١) مكي : السابق ٢٠٥ .

الفصل الثاني
التراث في صورته الناقدة
(الموشح)
للمرزباني (٢٩٧ ـ ٣٨٤)

صاحب الكتاب :

هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الخراساني الأصل البغدادي المولد .

كان أبوه عمران نائب صاحب خراسان ببغداد ، وهو منسوب الى أحد اجداده . وكان اسمه " (المرزبان) وهي تطلق على الرئيس من الفرس أو على الرجل المقدم العظيم القدر ، وتعني بالعربية (حافظ الحد) .

وقد استوعب المرزباني علوم عصره وأجاد فيها . وروى عن كثير من كبار علماء العصر وأدبائه ولغوييه منهم : أبو القاسم البغدادي وابو بكر بن دريد ، وأبو بكر بن الانباري .

أما تلاميذه الذين حدثوا عنه فمن أشهرهم : أبو عبد الله الصيمري وأبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري .

وكان المرزباني شيعي المذهب معتزلي الرأي والتفكير .
وكان كما روى من أخباره ـ ذكيا ألمعيا راوية مكثرا في تأليفه ، جميل التصانيف مقدما عند أهل العلم ، ومنهم من قدمه على الجاحظ في تصنيفه .

وقد كان منزله مجمعا لأهل العلم والأدب من تلاميذه وأصدقائه الذي كانوا يقصدونه للمدارسة بالعشرات .

وللمرزباني عشرات من الكتب في مناح وموضوعات متعددة فقد أغلبها ومن أهمها :—

١ — الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء .
٢ — أخبار أبي تمام .
٣ — أخبار الشعراء المشهورين .
٤ — أخبار البرامكة .
٥ — أخبار أبي مسلم الخراساني .
٦ — أشعار النساء .
٧ — أشعار الجن .
٨ — كتاب الأزمنة .
٩ — كتاب الشباب والشيب .
١٠ — كتاب الزهد وأخبار الزهاد .
١١ — المستطرف في الحمقى والنوادر .
١٢ — المفصل في البيان والفصاحة .
١٣ — المقتبس في أخبار النحويين .
١٤ — المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهلية والاسلام ... الخ .

وتوفي ٣٨٤ ودفن ببغداد .(١).

---

(١) أنظر في تفصيل ترجمته : وفيات الأعيان ٤/٣٥٤ وأنظر كذلك تقديم البجاوي لكتاب الموشح . ورسالة منير سلطان عن المرزباني والموشح ٤٧ — ٩٠ .

موضـوع الكتاب ومنهجـه :

أبان المرزباني عن موضوع كتابه في المقدمه الموجزة التي صدره بها وعن الباعث الذي حدا به الى تأليف كتابه هذا فقال " ... أودعت هذا الكتاب ماسهل وجوده ، وأمكن جمعه ، وقرب متناوله من ذكر عيوب الشعراء التي نبه اليها أهل العلم ، وأوضحوا الغلط فيها : من اللحن والسناد والايطاء والاقواء والاكفاء والتضمين والكسر والاحالة والتناقض واختلاف اللفظ وهلهلة النسج ، وغير ذلك من سائر ماعيب على الشعراء قديمهم ومحدثيهم في أشعارهم خاصة .. " (١) .

ولم يكن هدف المرزباني من رصد هذه المآخذ والعيوب تجريح هؤلاء الشعراء والتشهير بهم ، ولكنه كان يرمي من ذلك - كما ذكر في مقدمته - الى هدف علمي نبيل وهو أن يجتنب الشعراء من أهل عصره ومن بعدهم هذه العيوب وتلك المآخذ .

وقد حرص المرزباني أن يغفل عن قصد نوعين من العيوب .

النوع الأول : العيوب الشخصية : ويعني بها عيوب الشعراء " في أنفسهم وأجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم وديانتهم لانه استقصى ذلك في كتاب سماه (المفيد) وكتب اخرى ضمنها أخبار الشعراء وشرح فيها أحوالهم .

النوع الثاني : سرقات معاني الشعر ، وخاصة اذا قصر قول السارق عن مدى المسروق . فقد رصد المرزباني هذا النوع في كتاب له آخر سماه (كتاب الشعر) (١)

---

(١) الموشح ص ١
(٢) نفس المصدر .

والكتاب بعد ذلك مقسم الى تمهيد وأربعة أبواب رئيسية :ـ

ففي التمهيد عرف المرزباني العيوب التى أشار اليها فى المقدمة والتي يجب أن يتجنبها الشاعر المطبوع مثل اللحن والسناد والايطاء والاقواء ... الخ ممثلا بالشعر لكل عيب من العيوب السابقة .

ثم يأتى الباب الأول فى الشعراء الجاهليين والثانى فى الشعراء الاسلاميين . والثالث فى الشعراء المحدثين . أما الباب الأخير فعما " روى من ذم ردىء الشعر وسفسافه والمضطرب منه " .

ويستوفى المرزبانى أقوال العلماء فى هذه العيوب حتى يقترب بعضها من الآخر بل يتلبس به ويتداخل معه ويكون الخلاف لفظيا . ويسوق الامثلة الشارحة لكل عيب من هذه العيوب :

فالاقواء : هو اختلاف حركة الروى الذى تبنى عليه القصيدة (القافية)

كقول النابغة :

زعم البوارحُ أن رحلتنا غدًا ∴ وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ
لامرحبًا بغدٍ ولا أهلا بهِ ∴ إنْ كانَ تفريقُ الأحبةِ فى غدِ (١)

والاكفاء : اختلاف حرف الروى من بيت الى بيت كقول ابنة أبى مسافع ترثى أباها وقد قتل يوم بدر :

فما ليثٌ غريفٍ ذو ∴ أظافير وإقدام
كحِبّى اذ تلاقَوْا وَ ∴ وُجوهُ القومِ أقرانٌ (٢)

---

(١) الموشح ١١ .
(٢) السابق ١٣ .

والايطـــاء : رد القافية مرتين . كقول الشـــاعر :

وتخزيكَ يابنَ القينِ أيـــامُ دارِمِ

ثم قوله في نفس القصـــيدة :

وعمرو بن عمرو اذْ دعـــا يَالَــدارِمِ (١)

أما السـناد : فهو تغيير ماقبل حرف الروي مثل : نقيب ، وعيـــب وقريب وشيب . ومثل قول الفضل بن العباس اللهبي :

عبد شمس أبي فان كنت غضبى .:. فاملئي وجهك الجميل خموشا

ثم قال : (وبنا سُميت قريشٌ قريشًا)

وقـــال : (ولا تطيشَ عيشًـــا) (٢) .

واذا كان المرزباني قد بدأ كتابه بهذا التمهيد عن عيوب القافيـــة على اختلاف العلماء في تحديد مفاهيمها فانه يذيل الباب الاول مـــن كتابه (٣) بذكر كثير جدا من عيوب الشعر الشكلية والموضوعية منها :

١ ـ عيوب الوزن : كما يظهر في قول عبيد بن الأبرص :

والحقُّ ماعاش في تكذيب .:. طولَ الحياةِ له تعذيـــبُ

فهذا معنى جيد ، ولفظ حسن الا أن وزنه قد شانه وقبح حسنه ، وأفســد جيده . (٣) .

٢ ـ عيوب المعاني : كفساد القسم (الاقسام) ويظهر هذا الفساد المعنوي في المظاهر الآتيـــة :

١ ـ التكـــرار : مثل قول هذيل الاشجعي :

---

(١) الســـابق ١٧

(٢) السابق ١٨ .

(٣) ص ١٢١ الى ص ١٥٦ .

فما برحت تومى إليه بطرفها ∴ وتومض أحياناً إذا خصمها غفل

لأن تومض وتومىء بطرفها متساويان فى المعنى .

ب) دخول احد القسمين فى الآخر : مثل قول أحدهم :

أبادر إهلاك مستهلك ∴ لمالى أو عبث العابث

فعبث العابث داخل فى اهلاك مستهلك .

جـ) ترك بعض الاقسام : مثل قول جرير فى بنى حنيفة :

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم ∴ من العبيد وثلث من مواليها (١)

٣ ـ عيوب ائتلاف اللفظ والوزن : ومنها : التفصيل وهو " ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغى لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة :

وبلغ نميرا إن عرضت ابن عامر ∴ فأى أخ فى النائبات وطالب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله (أن عرضت) (٢)

٤ ـ عيوب ائتلاف المعنى واللفظ معا : كالشعر المقلوب والشعر المبتور :

أ) المقلوب : وهو أن يضطر الوزن الشعرى الى إحالة المعنى فيقلبه الشاعر الى خلاف ماقصد به مثل قول المجنون :

---

(١) الموشح ١٢٢ .
(٢) الموشح ١٢٤ ـ ١٢٦

يَضُمُّ إِلَىَّ اللَّيلُ أطفالَ حبّهـــا ∴
كما ضَمَّ أزرارَ القميصِ البَنائِـــقُ

أراد كما ضم البنائق أزرار القميص .

ب) التضمين : وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامـــه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني . مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كاليومِ كانَ على أَمْري ∴ ومن لَكَ بالتدبّرِ في الأُمـــورِ

فهذا البيت ليس قائما بنفسه في المعنى . ولكنه أتى في البيـــت الثاني بتمامه فقال :

إِذنْ لملكتَ عصمةَ أم وَهْبٍ ∴ عَلَى ماكانَ مِنْ حَسَكِ الصدورِ (١)

وينقل الزرهاني عن ابن طباطبا نماذج متعددة لأبيـــات فيها قصور في اللفظ أو المعنى أو فيها تزيد وحشو لاتيمة لـــه منها على سبيل التمثيل :

١ - قول أبي ذؤيـــب :

عصاني اليها القلبُ إني لأمره ∴ سميعٌ فما أدري أرشدٌ طِلابُهـــا

كان يحتاج أن يقول : أغي أم رشـــد . فنقص العبارة (٢) .

٢ - قول لبيـــد :

لَو يقومُ الفيلُ أو فيّالُـــهُ ∴ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مقامي وزَحَـــلْ

وليس للفيال مثل أيد الفيل فيذكره (٣) .

---

(١) السابق ١٢٩ (٢) السابق ١٣٥
(٣) السابق ١٣٧ .

٣ ـ قول أبي العيال الهذلي :

ذكرتُ أخي فعاودني ∴ صداعُ الرأسِ والوَصَبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضل (١) .

٤ ـ ومن هذا القبيل كذلك قول الحطيئة :

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ ∴ وهندٌ أتى من دونِها النأيُ والبعدُ

فذكر البعد مع ذكر النأي فضل (٢) .

٥ ـ ومن الحكايات الغلقة والاشارات البعيدة ، قول المثقب في صفة ناقته :

تقولُ وقد درأتُ لها وَضيني ∴ أهـذا دينهُ أبدا وديني
أكل الدهر حلٌ وارتحالٌ ∴ أما يُبْقي عليَّ ولا يقيني

فهذه الحكاية عن ناقته من المجاز المباعد للحقيقة ، وانما اراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول .

والذي يقارب الحقيقة قول عنترة في وصف فرسة :

فازورَّ عنْ وقع القنا بلبانِه ∴ وشكا الى بعَبْرةٍ وتحَمْحُمِ
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ∴ ولكانَ لو عرفَ الجوابَ مكلّمي (٣)

ويعرض المرزباني بعد ذلك لضرورات الشعر : المقبول منها وغير المقبول مستشهدا لكل لون بنماذج شعرية مما لا يتسع له هذا الموجز (٤)

---

(١) السابق ١٣٩
(٢) السابق ١٤١
(٣) السابق ١٤٣
(٤) انظر السابق ١٤٤ ـ ١٥٥

ماجـــــاء فى ذم الشــــعر الردئ :

يختتم المرزبانى كتابه بحشد من أقوال النقاد والرواة والعلمـــــاء وهى فى مجموعها احكام عامة قد يعوزها التحديد الدقيق ، ولكن كثــــيرا من هذه الاحكام يضع علامات واضحة على طريق الشاعرية الصادقة ، ويديـن الزيف الفنى والادعاء الكاذب فى مجال الشعر . على حد قول يحــــيى ابن على المنجـــم : "ليس كل من عقد وزنا بقافيه قد قال شعرا ، الشعر أبعد من ذلك مراما ، وأعز انتظاما " . (١) وشعر الوزن والقافيـــــة ان صح أن يسمى شعرا ـ يعد كما يقول ابن على المنجم من الاعمـــــار الساذجة البارد ة تسقط وتبطل الا أن تيزق حظ ، فيحملون ثقلها ، فتكون أعمارها بعد ة أعمارهم ثم يتحيى بها الاعراى الذهاب وذلك أن الــــــرواة ينفذ ونها وينفونها فتبطل . قال الشـــاعر :

يموت ردىءُ الشعرِ مِنْ قبلِ أهْلِهِ ... وجيدُهُ يبقى وإنْ ماتَ قائلُهُ (٢)

وحول هذا الشعر الميت " يعرض المرزبانى أخبارا متعددة تتد فق تهكما وسخرية به وبأصحابه من الشعارير أو المتشاعرين ومنها :ـ

١ ـ جاء رجل الى الرشيد فقال : قد هجوت الرافضة قال هـــــات . فأنشـــــد :

رغْمًا وشمًّا وزيتونًا ومظلمةً ... مِنْ أنْ تنالا من الشيخين طُغْيانَا

قال الرشيد : فسره لى . قال الرجل : لا ، ولكن أنـــــت بجيشك أجهد أن تدرى ما أقول ، فانى والله ماأدرى ماهو" (٣) .

---

(١) الموشـــــح ٥٤٧ .
(٢) السابق ٥٥٦ .
(٣) السابق ٥٦٠ .

٢ - أنشد رجل ابن مناذر قصيدة ، فجعل يقول : غفر الله لك ، غفر الله لك ! " فلما فرغ قال : " ردها على شيطانك لايمتن بها عليك " (١) .

٣ - أنشد أحدهم أبا زيد الانصارى شعرا له فقال له أبو زيد :

" يا أبا عدنان هذا شعر لاعليك ألا تستكثر منه " (٢) .

٤ - كان لمحمد بن الحسن الحصنى ابن فقال له : انى قد قلت شعرا ... فقال : أنشدنيه يابنى لئلا يلعب بك شيطان الشعر . قال : فان اجدت أتهب لى جارية أو غلاما ؟ قال الاب : اجمعهما لك . فأنشده :

إنَّ الديارَ بطيفَـــــا ∴ هيَّجْنَ حُزْناً قد عَفَـــا
أبكينَنِي لشقاوتِـــــي ∴ وجعلْنَ رأسِي كالقَفَـــا

فقال يابنى ، والله ماتستأهل بهذا جارية ولا غلاما ، ولكن أمك منى طالق ثلاثا اذ ولدت مثلك " (٣) .

٥ - قال رجل لأعرابى له : إنى قد قلت شعرا . فقال " هذا شىء يجزع منه العقلاء " (٤) .

٦ - جاء رجل الى خلف الأحمر ، فقال انى قد قلت شعرا أحببت أن أعرضه عليك لتصدقنى عنه - قال : هات . فأنشده :

رقدَ النوى حتى اذا انتبه الهوى ∴ بَحَثَ النوى بالبين والترحـــال
ماللنوى جَدَّ النوى قُطِعَ النَّــوى ∴ بالوصلِ بَيْنَ مهامِنٍ وشمـــالِ

---

(١) السابق ٥٥٢ .
(٢) السابق ٥٦٨ .
(٣) السابق ٥٧٠
(٤) السابق ٥٧٠ .

فقال خلف دع قولى وأحذر الشاة (١).

وبين ماذكره المرزبانى فى أول كتابه وما ذكره فى آخره أو بتعبير آخر : بين ماسجله تمهيدا وتذييلا للباب الأول (٢) وما كتبه فى الباب الأخير (مما روى من ذم ردىء الشعر" (٣) فروق واضحة أهمها :-

١ - يغلب على الأول الطابع العلمى الاصطلاحى : فهو فى مجموعه لايعد و " تعريفات " لعيوب الشعر وخاصة فيما يتعلق بالوزن والقافية مع الاكثار - الذى يصل احيانا الى حد الاغراق - من الشواهد التى تشرح وتعين على فهم هذه الاصطلاحات بينما يغلب على الثانى " الطابع الروائى " أن صح هذا التعبير فأغلب ماسجل اخبار وروايات تصم فى مجموعها الشعر الردىء وأدعياء الشعر .

٢ - يغلب على الأول الاتجاه الجاد فهو تنظير أو تقعيد لعيوب الشعر حتى يتجنبها الشعراء . أما الثانى فهو لون من الأدب الساخر " يعرض صورا كاريكاتورية واقعية لألوان من النظم وانماط من المتشاعرين الذين لايملكون الشاعرية وطاقة الابداع .

الشعراء الجاهليون :

يعرض المرزبانى فى هذا الباب لأكثر من عشرين شاعرا جاهليا مبرزا لكثير من العيوب التى أخذها النقاد والعلماء عليهم . ومن هؤلاء الشعراء : امرؤ القيس - النابغة الذبيانى - زهير بن أبى سلمى - الأعشى - طرفة بن العبد - بشر بن أبى حازم - حسان بن ثابت - أوس بن حجر ... الخ .

---

(١) السابق ٥٥٧ (٢) من ص ٤ الى ص ٢٥ ، ١٢١ - ١٥٥
(٣) ص ٥٤٧ - ٥٧٨ .

ومن المثال التالي يمكن تبين منحى صاحب الموشح وطريقتـــه في رصـــد هذه المآخـــذ :

أخبرنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي ، قـــا ل : أخبرنا محمد بن يزيد النحوي ، قال : قد عاب الناس قول طرفة :

أَسُدُ غِيلٍ فاذا ماشَرِبُوا ∴ وَهَبُوا كل أَمُونٍ وطمـــرّ

فقيل : انما يهبون هذ الآفة التي تدخل على عقولهم ، وفضلـــوا قول عنترة بن شـــداد العبســـي : ـ

واذا شربتُ فانني مُستهلكٌ ∴ مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلَـــمِ
واذا صحوتُ فما أُقصّرُ عن نَدَى ∴ وكماعلمتِ شمائلي وتكرمـــي

وحدثني عبد الله بن أحمد عن أبي العباس المبرد قال :

" عيب على طرفة بيته هذا ، وقيل : انما يهب هؤلاء اذا تغيرت عقولهم ، وانما الجيد بيتا عنترة هذان : فخبر أن جوده باق ، لأنـــه لايبلغ من الشراب مايثلم عرضه ، ثم قالوا : هو حسن جميل ، الا أنـــه أتى به في بيتين ، هلا قال كما قال امرؤ القيس :

سماحَةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاءَ ذا ∴ ونائلَ ذا إِذَا صحا وإِذا سَكِرْ

وأخبرني الصـــولي قال : عيب على طرفة قوله :

(×) أسد غيل .... البيت .

فجعل إعطاءهم عند الشرب ، ويروى " فاذا ماسكروا " فتبعـــه حسان بن ثابت الانصاري فقال ـ وهو أعيب من الأول :

نُولِيها الملامَةَ إِنْ أَلَمْنَـــا ∴ إِذا ما كانَ مَغْثٌ أو لِحَـــاءُ
ونشربها فتتركنا ملوكـــا ∴ وأسْدًا ماينهنهنا اللقـــاءُ (١)

(١) نوليها الملامة : أي نحيل عليها اللوم . ألمنا : أتينا مانلام عليه ، المغث : الشر والقتال . اللحاء : السباب والملاحاة .

فقول طرفة خير من هذا لأنه قال :

(×) أسد غيل فاذا ما شربوا (×)

فجعل لهم الشجاعة قبل الشرب ، وحسان قال : نشرب فتشجع ونهب كأننا ملوك اذا شربنا ، ولهذا كان قول طرفة أجود ، وقول عنترة أحسن ، لانه احترس من عيب الاعطاء على السكر ، وأن السكر زائد في سخائه فقال :

(×) واذا شربت فانني مستهلك (×)

وذكر البيتين :

وقال زهير :

أخي ثقةٍ لا تهلكُ الخمرَ مالَهُ ∴ ولكنه قد يُهلِكُ المالَ نائلُـهُ

فهذا من أحسن الكلام ، يريد أنه لا يشرب بماله الخمر ، ولكنه يبذله للحمد .

وقال البحتري :

تكرمت - من قبل الكئوس - عليهم ∴ فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرما (١)

الشعراء الإسلاميون :

في هذا الباب الثاني من الكتاب تصوير للمآخذ التي سجلت على شعراء صدر الاسلام وشعراء الدولة الأموية مثل : الفرزدق وجرير والأخطل وكثير والراعي النميري والقطامي وذو الرمة وعبيد الله بن قيس الرقيات والأحوص وأبو دهبل ونصيب والكميت وجميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم .

---

(١) الموشح ٢٨ - ٢٩ .

وقد سقنا آنفا في مقام حديثنا عن الشعراء الجاهليين شـــا لا لما أخذه العلماء على طرفة ، وهو نقد معنوي يقصد المضمون الفكـــري في بيته أو أبياته . والمثال التالي يبين عن لون آخر من النقـــــد في الموشح وهو " النقد النحوي اللغوي " :

روى عبد الله بن جعفر ، عن سلمان ، عن الرياشي ، عـــن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كنا عند بلال بن أبـــي بردة ، فأنشد الفرزدق :

تريكَ نجومَ الليلِ والشمسُ حيةٌ ... زحامُ بناتِ الحارثِ بن عُبَـــادِ

فقال عنبسة بن معدان الزحام مذكر . فقال الفرزدق :

اغرُبْ . قال عبد الله : والزحام لها وجهان : أن يكون مصــدرا مثل الطعان والقتال ، من قولهم : زاحمته زحامـــا :

فهذا مذكر كما قال عنبسة ، أو يكون جمعا للزحمة يراد بهـــا الجماعة المزدحمة ، فهذا مؤنث ، لان الزحام هو المزاحمة كـــما أن الطعان هو المطاعنة . وقول عنبسة أقوى وأعرف في الكلام (١) .

الشعراء المحدثـــون :

ومنهم : بشار بن برد ـ مروان بن أبي حفصة ـ أبو العتاهية ـ أبو نواس ـ مسلم بن الوليد ـ العباس بن الأحنف ـ كلثـــوم ابن عمرو العتابي ـ أشجع السلمي ـ دعبل الخزاعي ـ اسحـــاق ابن ابراهيم الموصلي ـ أبو تمام ـ البحتري ـ علي بن الجهم .. الخ .

---

(١) الموشـــح ١٦٥ ـ ١٦٦

ومن العيوب التي يؤاخذ عليها الشاعر " السرقة الأدبية "
لفظا أو معنى أو هما معا كما نرى في المثال التالي : -

" أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال : ابتدأ اسحاق
في قصيدته التي امتدح فيها الواثق بقوله :

ضَنَّتْ سعادُ غداةَ البَيْنِ بالزَّادِ ∴
وأخلفتكَ فما توفي بميعادِ

وما أعجب أمر اسحاق في هذا الابتداء ، واستجازته أخذه
اياه نقلا مع علمه بقبيح مافي السرق الذي هذه سبيله . قال
الأحوص : -

ضنت سعاد غداة البين بالزاد ∴
وآثرت حاجةَ الثاوي علَى الغادِي

قال الشيخ أبوعبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى : هكذا
قال ابو الحسن ، والرواية المشهورة الصحيحة في بيت الاحوص :

(×) ضنت عقيلةُ لما جِئْتُ بالزادِ (١) (×)

---

(١) السابق ٤٦١

منهج الموشح وسماته النقدية :

١ ـ الكتاب كما عرفنا من كتب النقد ، وهو من "كتب النقد الخاصة أو المتخصصة" ان صح هذا التعبير فهو لايقيم الشعر أو الشاعر تقيما شموليا يكشف عن محاسنة ومساوئه ، ولكنه يعطى اهتمامه الاكبر لجانب المعايب والمآخذ ، ومن هنا تأتى طرافة الكتاب .

وقد أفاد المرزبانى من الخطوات النقدية الرائدة التى سبقته فظهر أثر كثير منها وسماته فى كتابه ومن أشهر هؤلاء محمد بن سلام الجمحى (ت ٢٣٢ هـ) أول من ألف فى نقد الشعر بكتابه (طبقات الشعراء) ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) صاحب كتاب الشعر والشعراء . وأبو العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) فى كتابه (قواعد الشعر) . وقدامة بن جعفر (ت ٣١٠) فى كتابه (نقد الشعر) . وابن طباطبا العلوى (ت ٣٢٢ هـ) فى كتابه (عيار الشعر) وله طابعه الخاص ومنهجه الفذ ، فصاحبه شاعر يقول الشعر ويعانيه فيعرض تجربته الشعرية فى صدق ووضوح ويتحدث فيه عما يتصل بالطبع وبالشعر وصياغته وألفاظه ومعانيه ، وبناء القصيدة واشتراك الشعراء فى المعانى . والحسن بن بشر الآمدى (ت ٣٧٠) فى كتابه (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) (١) .

من كل هذه الكتب السابقة أفاد المرزبانى الى أبعد حد وهو فى موشحه . فى كل صفحاته على وجه التقريب ينسب الفضل الى أصحابه ويشير فى صراحة الى الذين أخذ منهم وعرض آراءهم .

٢ ـ والكتاب فى مجموعه كما ذكرنا يسجل مآخذ العلماء على الشعراء . وتجاه هذه المآخذ يستوفى الكاتب هذه العيوب والمآخذ من جانبين :

---

(١) أنظر : على البجاوى فى تقديمه لكتاب الموشح .

أ) الجانب الاصطلاحي القاعدي :

فيعرض تعريفات العلماء المختلفة لعيوب الشعر من ناحية الوزن والقافية والالفاظ والمعاني والخيال ... الخ وهو لا يكتفي بالتعريف الواحد للعيب الواحد بل يورد كل ماقيل فيه على اختلاف هذه الاقوال أو تشابهها .

ب) الجانب التطبيقي :-

فيورد من الشعر ماتعلق به المعايب والنقائص التي عرف بها وعرض وجهات النظر المختلفة بشأنها . وهو كذلك يستوفى كل الاقوال الناقدة لبيت الشاعر أو أبياته على اختلافها أو تشابهها .

وهو ينقل عن كثيرين مع الحرص على الاسناد ومنهم : اللغويون كالاصمعي والنحاة كثعلب ، والنقاد كابن سلام وابن المعتز وابن طباطبا وقدامة بن جعفر . ومنهم الادباء كأحمد بن أبي طاهر ومحمد بن داود الاصفهاني وأحمد ابن عبد الله بن محمد بن عمار الكاتب وأحمد بن محمد بن عاصم الحلواني .

وفي الموشح نجد طوابع هؤلاء جميعا : فرأينا في المآخذ ماهو لغوى ومنها ماهو نحوى ، ومنها مايتعلق بالمضمون الفكرى ، ومنها مايتعلق بالجانب التصويرى الجمالي ، وقد عرضنا فيما سبق أمثلة ثلاثة في العصور الثلاثة تبين عن الوان ثلاثة من النقد مختلفات .

٣ ـ ولم يقف جهد المرزباني عند جمع الروايات المختلفة التي تسجل مآخذ العلماء على الشعراء باسنادها ، وهو في ذاته عمل نقدى وأدبي عظيم ، ولكن شخصية الناقد لم تختف وراء الجمع والرصد فبرزت في مظاهر شتى منها :

أ) التصدي لبعض الآراء والاحكام النقدية ونقضها اذا ما رأى فيها اسرافا وشططا :

فالاصمعي يقول : تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة وكان يكابر ، وأما جرير فما علمته سرق الا نصف بيت " .... يعلق المرزباني على الحكم السابق قائلا : (" وهذا تحامل شديد من الاصمعي وتقول على الفرزدق لهجائه باهلة ، ولسنا نشك أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة ، فاما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال ، وعلى أن جريرا قد سرق كثيرا من معاني الفرزدق ... (١) .

ورد المرزباني فيه دقة وبصر وعدل وانصاف ، ومثله رفضه حكم النوار زوجة الفرزدق بتفضيل جرير عليه لأنه رأى مبنى على الهوى فهو أشبه " بالمعاكسات " منه بالاحكام النقدية البصيرة ، يقول المرزباني " .. ولا يقبل قول النوار على الفرزدق لمنافرتها اياه " (٢) .

والمرزباني يعلل غالبا الاحكام التي يسوقها تعليلا فنيا وعقليا (٣) وان كان له من الاحكام ما غلبته فيها حماسته دون تعليل أو دليل كما نرى في الرواية التالية :

.... قال مقاتل الشاعر : قلت لأبي تمام : تقول الشعر الجيد ثم تقول البيت الردئ؟!! فقال : مثل هذا مثل رجل له عشرة بنون منهم واحد أعمى فلا يحب أن يموت " . يعلق المرزباني بقوله " وهذه حجة ضعيفة جدا " (٤) دون أن يذكر سبب استضعافه لها .

---

(١) الموشح ١٦٨ (٢) السابق ١٦٩

(٣) انظر رده على أبي الصقر الذي انتقص من شعر ابن الرومي فيه ص٥٤٦ . (٤) الموشح ٤٩٣ .

ب) نقده للشعراء : فهو يعرض للقصيدة التي يهجو فيها البحتري المستعين والتي مطلعها :

أعاذلتي على أسماءَ ظلماً ∴ وإجراءِ الدموعِ لها الغِزارِ
... الابيات :

يقول المرزباني " وهذه الابيات من أقبح الهجاء وأضعفه لفظا واسمجه معنى ... وهي أيضا خارجة عن طريقة هجاء الخلفاء والملوك المألوفة ، وهي بهجاء اسفلة الناس ورعاعهم أشبه ، مع ماجمعت من سخافة اللفظ وهلهلة النسج ، والبعد من الصواب (١) .

والنقد هنا نقد شامل أحاط بكل جوانب القصيدة من ناحية المعنى والبناء والأداء التعبيري والمذهب الفني السائد في عصره .

جـ) الشرح والتفسير : يفسر المرزباني بعض الكلمات الغريبة التي ترد في الابيات الشعرية (٢) أو يوضح مناسبة أو موقفا معينا يرتبط بما يورده من شعر : فزياد بن أبيه يغضب على المصور العتري الراوية حين أنشده قول الاعشى :

رحلت سمية غدوة أجمالها ∴ غضبى عليك فما تقول بدا لها

قال المرزباني " واسم ام زياد سمية ، فكره ذكر ذلك (٣) .

٤ ـ ومن الناحية الشكلية نرى المرزباني يصدر رواياته بقوله " حدثني فلان قال حدثنا .... " أو " أخبرني فلان .. " أو " روى فلان عن فلان ... " أو كتب الى فلان ..."

---

(١) السابق ٥١٤ (٢) انظر السابق ص ١٣٢
(٣) السابق ٣٧٣ .

وما ينقله من كتب النقد كنقد الشعر لقدامة أو معيار الشعر لابن طباطبا . يكتفى فيه بذكر المؤلف دون ذكر الكتاب قال قدامة ابن جعفر ... " - " قال محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى .. "

أما آراؤه الخاصة فيصدرها بقوله " قال الشيخ أبو عبد الله المرزبانى رحمه الله تعالى " حتى لا يختلط رأيه الخاص بآراء غيره من العلماء ..

وقبل أن ننتقل إلى لون آخر من ألوان التراث وهو الصورة الملحمية علينا أن نذكر أن " الموشح " وإن لم يكن فى مقام طبقات الشعراء لابن سلام أو عيار الشعر لابن طباطبا : فانه يمثل حلقة لها أهميتها فى سلسلة النقد العربى :-

١ - فهو كتاب من " النقد المتخصص " الذى أعطى اهتمامه الأكبر لرصد معايب الشعراء ونقائصهم فيما ينظمون . وذلك حرصا من مؤلفه على أن يتفاداها الشعراء ولا يقعوا فيها .

٢ - أنه جمع حشدا من الروايات الشفوية أو المنقولة من كتب ثقاة لهم عقلهم وموازينهم العلمية ومعاييرهم النقدية المختلفة ، وبذلك يعد الكتاب معرضا لمدارس متعددة فى النقد .

٣ - والكتاب ذو وحدة عضوية محكمة فهو منظم التبويب واضح التقسيم متلاحم الأجزاء .

٤ - وفى ثنايا الكتاب يطل علينا مؤلفه بآرائه ونظراته الخاصة وهى فى مجموعها لا تعدم الأناة والروية والنظر النافذ البصير .

الفصل الثالث

التراث فى صورة ملحمية قصصية
(رسالة الغفران)
لابى العلاء المعرى : ٣٦٣ - ٤٤٩ هـ

أبو العلاء المعرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الشاعر الاسلامى المشهور . كان ميلاده سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٩) م فى معرة النعمان فى شمالى الشام .

وفى الرابعة من عمره أصيب بالجدرى الذى ذهب تماما بعينه اليسرى وغشى عينه اليمنى بالبياض ثم انطفأ مافيها من ضوء بعد ذلك الى الابد .

ولكن الله عوضه عن ذهاب بصره ذكاء خارقا وفطنة لماحة وقدرة فائقة على الحفظ .

وقد قضى أبو العلاء شبابه فى عصر مضطرب : فقد كان الحمدانيون يحكمون شمال الشام فى ذلك العهد حكما غير مستقر لو قوعهم بين الفاطميين الذين كانوا يتقدمون من الجنوب ، وبين الروم الذين كانوا يهددون حدود الدولة الاسلامية دائما من الشمال . ولكن النهضة الادبية - على الرغم من اهتزاز الاستقرار السياسى - كانت واضحة القسمات - فى بغداد والشام وكان عهد سيف الدولة الزاهر لايزال يتمثل فى الاذهان .

بدأ أبو العلاء يقرض الشعر وهو فى الحادية عشرة من عمره ، ورحل من بلدته معرة النعمان الى حلب حيث تلقى العلم عن أساتذة تتلمذوا على العالم المشهور ابن خالويه ، ومنهم محمد بن عبد الله ابن سعد . ويقال انه درس السنة على يد يحيى بن مسعر ، كما يذكر ابن خلكان أنه قرأ النحو واللغة على أبيه بمعرة النعمان .

وفى سنة ٣٩٨ هـ كانت رحلة أبي العلاء الشهيرة إلى بغداد التى وصل إليها بعد أن لاقى من الاهوال ما لاقى وكان أبو العلاء يطمح بهذه الرحلة إلى تحقيق مجد أدبى وتحسين مركزه المادى والاجتماعى .

ومكث الشاعر ببغداد أقل من عامين ولم يحقق ماكان يهفو ويتطلع إلى تحقيقه ، بل لاقى من الكيد والمهانة والحسد شيئا كبيرا (١) . فعاد الى مسقط رأسه معرة النعمان حزين النفس كسير الفؤاد . وعمق الحزن فى نفسه مابلغه من موت أمه وهو فى طريقه إلى المعرة .

لقد بدأت حياة أبى العلاء بالمصائب : ففقد بصره ولما ينفض ثوب الرابعة من عمره ، وفقد أباه ولما يعد الرابعة عشرة ، ولزمه أثقل الأصحاب ظلا وأسمجهم مظهرا وأقبحهم جوارا ، وهو الفقر وعثور الجد ، فلما انحدر إلى بغداد لقيته الايام بظلم عال السلطان له واعتدائهم على سفينته ، ثم قدمت اليه ببغداد كأسا من الشهرة العلمية ، مزاجها اليأس من حسن المقام ، ثم أخلفه الأمل وعده ، ونجز إليه اليأس وعيده ، فشخص من بغداد كارها ، وأنه لقى الطريق يسايره الحزن ، ويقوده الأسى ، ويحدو به الفشل ، واذا النعى يلقاه بموت تلك التى كان يدخرها سلوة عما جنت عليه الأيام : من عثور الجد ، وسوء الحال (٢) .

كل هذه الأحداث تركت فى نفسه آثارا بالغة العمق فلزم منزله حال عودته إلى معرة النعمان من بغداد وشرع فى التصنيف وأخذ عنه الناس ، وسار اليه الطلبة من الآفاق ، وكاتبه العلماء والوزراء

---

(١) ذكر ابن خلكان فى الوفيات ج ١ ص ١١٤ أن أبا العلاء دخل بغداد مرتين الاولى سنة ٣٩٨ هـ والثانية سنة ٣٩٩ . ويرى طه حسين أنه دخلها مرة واحدة فقط معتمدا فى ذلك على شعره ونثره وعلى ما كتبه عنه القفطى والذهبى وياقوت والصفدى (أنظر تجديد ذكرى أبى العلاء ص ١٣٤)

(٢) طه حسين : السابق ١٥٠ .

وأهل الأقدار وسمى نفسه (رهين المحبسين) للزومه منزلـــه ، ولـذهاب عينيه ، ومكث مدة خمسة وأربعين سنة لاياكل اللحـم تدينا لأنه كان يرى رأى الحكماء المتقدمين وهم لايأكلونه كـى لايذبحوا الحيوان ففيه تعذيب له وهم لايرون الايلام فى جميـع الحيوانات (١) .

وقد وجد أبو العلاء فى المعرة مافاته فى بغداد من الشهـرة والمال ، ووفد عليه الطلاب من الجهات البعيدة ليقرءوا عليـه ، وتدل الرسائل التى نشرها مرجوليوث على أنه كان كثير التراسل مـع العلماء الذين كانوا تواقين إلى الإفادة من علمه : ويذكر الرحالـة والشاعر الفارسى ناصر خسرو الذى زار المعرة عام ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م) أى قبل وفاة أبى العلاء بأحد عشر عاما أنه كانت له سلطة مطلقـة فى المدينة ، كما كان له مال وفير وزعه على الفقراء ، على حين عـاش هو عيشة الشـظف كأنما هو ولى من الأولياء (٢) .

وكل أولئك يدل على أن " عزلة " أبى العلاء لم تكن عزلـة بمعناها الظاهر المعروف : ابتعادا عن الناس وانحباسا عنهـم دون اختلاط بأحد . ولكنها كانت " اعتزالا " للمجتمعات والمجامع والمحافل ، فعاش مقصودا " لاقاصدا " ، فالعزلة التامة كما يقـول طه حسين ــ لم تكن ميسورة لأبى العلاء ، وإنما كانت أمنية ضائعـة فانه وإن زهد فى كل التراث الحياة لايستطيع أن يزهد فى العلـم والتأليف اللذين قد ملكاه واستأثرا به ، وكلاهما يكلفه عِشـرة الناس لاحتياجه إلى من يقرأ له ويكتب عنه ، لذلك لم يلبـث

---

(١) وفيات الأعيان ١/١١٤

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١/٥٤٩

بعد استقراره بالمعرة أن اشتغل بالتعليم ، والتف حوله الطلاب ، وأخذوا يدرسون عليه اللغة وآدابها ، وما هو إلا الزمن القليل حتى كثر سواد هم حوله . ثم لم تمض على هذه الحال أعوام حتى أخذ الناس يزورونه ، ويكتبون اليه ، فاستحالت عزلته إلى أشد أنواع المعاشرة (١) .

وكانت عزلته — أن صح تسميتها عزلة — أخصب فترة في حياته اذ عاش يمنح الادب العربي ويمنح تلاميذه نفحات طيبات كتبت له الخلود الى أن لقي ربه في شهر ربيع الاول سنة ٤٤٩ هـ. ولابي العلاء كتاب اللامع العزيزي) في شرح شعر المتنبي واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه (ذكرى حبيب) وديوان البحتري وسماه (عبث الوليد) وديوان المتنبي وسماه (معجز أحمد) وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم ، وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن لخطئهم .(٢) .

ويقال أن له كتابا سماه (الايك والغصون) في الأدب يقارب المائة جزء (٣) . ولكن أشهر من كل أولئك ديوانه (سقط الزند) وقد شرحه أبو العلاء نفسه بكتاب سماه (ضوء السقط) ومعظم أشعار (سقط الزند) نظمها ابو العلاء قبل رحلته الى بغداد ولكن به قصائد نظمها في تاريخ متأخر عن ذلك . وتدور على مدائح ومراث ومقطوعات نظمت في مناسبات مختلفة وغير ذلك وخص جزء ا منها بالدرعيات .

أما اشهر شعره على الاطلاق فديوانه (لزوم ما لا يلزم) أو اللزوميات) : وقد التزم في اللزوميات أن تكون القافية على حرفين : أي يلتزم حرفا لو أسقطه لما كان متجاوزا قواعد القافية .

---

(١) طه حسين : السابق ١٥٨

(٢) الوفيات ١/١١٤

(٣) السابق ١١٣ .

واللزوميات غاصة بالغريب ، وهي معرض حقيقي لفلسفة أبي العلاء وآرائه الصارمة التي لم تخل من الغلو والاسراف والشطط في الحياة والناس والعقيدة والرسل والأديان مما دفع كثيرين إلى رميه بالالحاد والزندقة (١) .

ولأبي العلاء مؤلف نثري مشهور هو (رسالة الغفران) وهو موضوع دراستنا في الصفحات القادمة .

الدافع الى إنشاء رسالة الغفران :

كتب علي بن منصور (٢) المعروف بابن القارح رسالة الى أبي العلاء المعري يشكو فيها أموره ويبث شقوه (أحزانه) وما لقيه في سفره ، من اقوام يدعون العلم والأدب ، والأدب أدب النفس لا أدب الدرس ، وهم أصفار فيهاجيهما ، ولهم تصحيفات كنت إذا رددتها عليهم نسبوا التصحيف إلي وصاروا إلبا علىّ " (٣) .

ولكن الرسالة — وإن كانت روح الشكوى والتبرم واضحة فيها كانت معرضا واسعا لموضوعات شتى من أهمها :

١) أخبار كثير من الأدباء والشعراء وخاصة الملاحدة والزنادقة منهم أو من علقت بهم شبهة الإلحاد والزندقة ومن هؤلاء أحمد بن يحيى الراوندي وصالح بن عبد القدوس وبشار بن برد والوليد بن يزيد والحلاج ، وهو يأتي بهذه الاخبار موجزة ، وبعضها على سبيل الإشارة والالماع .

---

(١) أنظر طه حسين السابق ص ٢٠٢ ودائرة المعارف ١/٤٤٩ وارجع كذلك إلى كتاب حامد عبد القادر : فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره .

(٢) هو علي بن منصور (ابن القارح) الملقب بدوخلة ، ويكنى (أبا الحسن) أديب شاعر ، خدم أبا علي الفارسي بالشام وآل المغربي بمصر ، واتصل بأبي القاسم المغربي ومدحه ، ثم تنكر له في محنته وله فيه هجو كثير . عاش في النصف الثاني من القرن الرابع والأول من الخامس .

(٣) رسالة ابن القارح ص ٢٧ وقد صدرت بها رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ .

٢ — أخبار شخصية وأحاديث عن النفس تصور بعض مراحل حياته كقوله " كنت أدرس على أبي عبد الله بن خالويه رحمه الله واختلف إلى أبي الحسن المغربي . ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت على أبي على الفارسي . وكنت أختلف إلى علماء بغداد : الى أبي سعيد السيرافي وعلى بن عيسى الرماني ..... وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ثم سافرت الى مصر ولقيت أبا الحسن المغربي .... " (١) .

٣ — نقد بعض الشعراء وتسجيل مآخذه عليهم . فابن القارح يعرض للمتنبي ولا يعجبه تصغير كلمة (الأهل) في قوله :

* أذمّ إلى هذا الزمان أُهَيْلَه *

لأن المتنبي صغرهم تصغير تحقير غير تكبير وتقليل غير تكثير . ثقفت ثقفت سد دوا . وأظهر ضميرا مستورا . وهو سائغ في مجاز الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه غير موضعه . وخاطب به غير مستحقه . وبما يستحق زمان ساعده بلقاء " سيف الدولة " أن يطلق على أهله الذم ... (٢) .

ولكنه يتعاطف مع ابن الرومي ويدعو الله أن يقبل توبته مما اعتقده في مرض موته من ذبح نفسه والرسول عليه الصلاة والسلام يقول " من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته بيده . يجأ بها نفسه خالدا مخلدا في النار . من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى على منخريه في النار خالدا مخلدا . من تحسى سما حشر يوم القيامة وسمه بيده . يتحساه خالدا مخلدا في النار (٣)

(١) السابق ٥٦ .
(٢) السابق ٢٨ .
(٣) السابق ٤١ .

٤ - مدحه أبو العلاء وتقريظه إياه إلى حد الإسراف أحيانـــا :
فأبو العلاء - كما يقول ابن القارح فى رسالته " ......
قد شاع فضله فى جميع البشر ، وصار غرة على جبهة الشمس والقمـــر
وكتب بسواد الليل على بياض النهار وأنا فى مكاتبة حضرتـــه
بمنظوم ومنثور - كمن أهد التار بالشرر ، وأهدى الضوء الى القمـــر ،
وصب فى اليم جرعة ، وأعار سير الفلك سرعة (١) .

ولكن اخبار الزنادقة ومن علقت به شبهة الخروج علـــى
الدين تستغرق أغلب رسالة ابن القارح إلى أبى العـــلاء
ويطلب منه فى نهايتها أن يعرفه بالجواب عنها .

وواضح من عرض أهم المسائل والموضوعات التى تناولهـــا
ابن القارح أنه لم يطلب من أبى العلاء ابداء رأيه فيهـــا
عرضه وأثاره .. فى صورة أسئلة مباشرة محددة .. ولكنه عـــرض
ماعرض جملة دون أن يذيل كل مسألة أو موضوع من موضوعاتهـــا
الكثيرة التى تشمل الأشخاص والعقائد والشعر والنقد - بالسؤال
الذى ينتظر جوابه فيما يتعلق بكل مسألة على حدة وانما طلب"
الجواب " على رسالته جملة كما أشرنا . وكانت رسالة الغفران
هى الجواب الذى انتظره ابن القارح . وقبل أن نعرض بـــين
يدى القارئ رسالة الغفران " يجب أن نلاحظ حقيقتين :

<u>الأولى</u>: أن رسالة ابن القارح تمثل " موضوعـــا متكامـــلا "
لانقص فيه وأن غلب على أسلوبها السجع والاستطراد .

<u>الثانية</u>: أن رسالة الغفران - فى قسمها الثانى كانت تمد يدا
استطراديا للأخبار والحقائق التى ذكرها ابن القارح فـــى
رسالته حتى لتصلح رسالة ابن القارح أن تكون " متنـــا "

---

(١) الســـابق ٦٢

لرسالة الغفران فى قسمها الثانى . ولا أغلو اذا قلت أننـــا لو ضممنا كلام الرجلين — ابن القارح وأبى العلاء — فى كل مسألة على حدة لتحقق التكامل والاستيفاء للموضوع الواحد ولما استطاع القارىء أن يلمس اختلافا أو تنافرا بين نقاط متكاملة وأسلوبين متشابهين إلى حد بعيد وان كان أبو العلاء أوسع أفقا وامتدادا وقدرة على تمثل المواقف والتمثيل لها برصيد ضخم من اللغة والتاريخ والشعر . والمثال التالى يؤكد ما ذهبنا اليه : جاء فى رسالة ابن القارح (١) .

" قال الحسن بن رجاء الكاتب : جاءنى أبو تمام الى خراسان ، فبلغنى أنه لايصلى ، فوكلت به من لازمه أياما فلم يره صلى يوما واحدا فعاتبته فقال : يامولاى ، قطعت إلى حضرتك من بغداد ، فاحتملت المشقة وبعد الشقة ، ولم أره يثقل على ، فلو كنت أعلم أن الصلاة تنفعنى وتركها يضرنى ماتركتها ، فأردت قتله فخشيت أن يحمل على غير هذا "

وجاء فى القسم الثانى من رسالة الغفران رد أبى العلاء أو تعليقه على هذه المسألة (٢) .

" وأما أبو تمام فما أمسك من الدين بزمام ، والحكاية عن ابن رجاء مشهورة ، والمهجة بحبيبها مبهورة ، فان قذف فى النار حبيب (٣) فما تغنى المدح ولا التشبيب ، ولو أن القصائد لها علم ، وتأسف لما يشكو الخلم (٤) لأقامت عليه المدح دتان (٥)

---

(١) ص ٤١

(٢) رسالة الغفران ٤٨٣

(٣) حبيب بن أوس الطائى هو أبو تمام .

(٤) الخلم بكسر فسكون : الخل والصديق .

(٥) قصيدتان لابى تمام فى المديح .

اللتان فى أول ديوانه مأتما يعجب لأسوانه (١) فناحتا عليه كابنتى لبيد ، وجرعتاهما من الثكل نظير الهبيد (٢) ، وقالتا مازعمه الكلابى فى قوله :

وقولا هو الموتُ الذى لا حريمه ∴ أضاعَ ولا خانَ الصديق ولا غَدَرْ
إلى الحولِ ثم اسم السلام عليكما ∴ ومنْ يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر

وكأنى بهما لو قضى ذلك ، لاجتمعت إليهما (المدودات) (٣) كما تجتمع نساء معدودات ، فيجئن من كل أوب ، ويتواعدن المحفل على نوب ، ولو فعلن ذلك لبارتهن (البائيات) بمأتم أعظم رنينا ، وأشد فى الحندس حنينا كما قال العبقسى :

يُجاوِبْنَ الكلابَ بكلِّ فجرٍ ∴ فقد صَحَلَتْ من النوحِ الحُلُوقَ

وإذا كان مأتم المدودات فى مائة مما يسعد هن ويظاهر وجب أن يكون مأتم (البائيات) فى آلاف تعلن وتجاهر ، لأن الباء طريق ركوب ، والمد فى القصائد سهيل منكوب ، وما نظمه على التاء فإنه لا يعجز عن الإيتاء ،

وتجىء (التائيتان) (٤) وكلتاهما كابنة الجون ، تهتدر فى حالك اللون ولو صورتا من الآدميات لزادتا على (قينتى ابن خطل) (٥) فى المرثيات ، وإن التاء لقليلة فى شعر العرب إلا أنهما تستعينان كلمة كثير :

---

(١) الأسوان : الحزين ،
(٢) الهبيد بكسر الهاء : الحنظل ،
(٣) سبع قصائد لأبى تمام فى غير المدح ،
(٤) هما قصيدتا أبى تمام وليس فى ديوانه على التاء غيرهما
(٥) ابن خطل كان كافرا شديد العداوة للنبى ، وكان له قينتان دأبتا على الغناء بهجاء النبى عليه السلام ، وقد عهد الى امرائه يوم فتح مكة بقتل الثلاثة ولو تعلقوا بأستار الكعبة ،

حبالُ سلامةٍ أضحتْ رِثاثــا ∴ نسقيا لها جُدَدًا أو رِماثــا

وهكذا كان نهج أبى العلاء فى القسم الثانى من رسالة الغفران وهو يستغرق قرابة نصف الرسالة وفيه ينطلق أبو العلاء ســـن مسائل رسالة ابن القارح بعقلية موسوعية قادرة مجندا كل معارفـه الأدبية والتاريخية والدينية والفلسفية واللغوية فى استيفاء القــول فى المسائل التى أثارها وعرضها ابن القارح فى رسالته على سبيـل الإيجاز غالبا وعلى سبيل الإلماع أحيانــا .

فرسالة الغفران اذن تنقسم الى قسمين :

القسم الأول : يمثل الجانب القصصى أو الملحمى الخيالى فى الرسالة.

القسم الثانى : يمثل الجانب العلمى منها ملتزما تناول كل نقطة أثارهـا ابن القارح ومعالجتها - كما ذكرنا آنفا - بتوسـع واستطراد من التاريخ إلى اللغة إلى رأى الدين إلى المحاجة العقلية وهلم جـرا .

وسيكون كلامنا بعد ذلك مقصورا على القسم الأول وهـو الذى اشتهرت به رسالة أبى العلاء ، ولما فيه من طرافـة وسبق وكذلك لما له من بصمات على الفكر الغربى فى صورتـه الملحمية كما ســـنرى .

موضـــوع الغفران :

يتلخص موضوع رسالة الغفران فى أن ابا العلاء تخيل أن الشيخ على بن منصور الحلبى (ابن القارح) قد صعد الى السماء ورأى الجنة بما فيها من أشجار وأنهار وحور عين وكئوس وأباريق وخمر وعسل ونعيم كما رأى الجحيم بما فيه من نار وعذاب وفى هذا العالم الآخـر المغيب يلتقى ابن القارح بعشرات من الشعراء والأدباء والعلماء .

وتدور بينه وبينهم محاورات فنية بارعة ينطلق ابو العلاء فيها وشبها لإبراز قدرته اللغوية والشعرية وعلمه الفائق بالغريب .

ويعجب ابن القارح لدخول كثير من الجاهليين الجنة على كفرهم وبعدهم عن الاسلام فيأتيه الجواب بأن ذلك لعمل طيب أتاه صاحبه ، أو بيت من الشعر طيب المعنى دينى المضمون ومن ثم أدركته رحمة الله " فغفر " له شركه وآثامه وأوزاره وهذا هو سر تسمية الرسالة " رسالة الغفران " .

وعلى سبيل التمثيل : يلتقى ابن القارح بعبيد بن الأبرص ـ الشاعر الجاهلى ـ فى الجنة فيقول : السلام عليك يا أخا بنى أسد . فيقول : وعليك السلام ، وأهل الجنة أذكياء لايخالطهم الاغبياء ـ لعلك تريد أن تسألنى بم غفر لى ؟ فيقول أجل ، وان فى ذلك لعجبا !! أألفيت حكما للمغفرة موجبا ، ولم يكن عن الرحمة محجبا ؟ فيقول " عبيد " : أخبرك أنى دخلت الهاوية ، وكنت قلت فى أيام الحياة :

من يسألِ الناسَ يحرمُوهُ ∴ وسائلُ اللهِ لايخيبُ

وسار هذا البيت فى آفاق البلاد فلم يزل ينشد ويخفف عنى العذاب حتى أطلقت من القيود والأصفاد ، ثم كرر الى أن شملتنى الرحمة ببركة ذلك البيت وان ربنا لغفور رحيم (١) .

فالعفو والغفران الإلهى للعصاة والمذنبين هو النغمة التى تسرى فى أعطاف الرسالة ، ويرى بعض الباحثين المحدثين (٢)

---

(١) رسالة الغفران ١٨٥

(٢) دكتور / صلاح فضل : تأثير الثقافة الإسلامية فى الكوميديا الالهية لدانتى ص ٧٣ .

أن هدف أبي العلاء من ذلك مقاومة الفكرة السائدة لدى علماء الكلام في عصره عن تضييق فكرة الدين بفكرة أخرى عن رحمة الله التي وسعت كل شيء .

شخصيات الغفران :

يلتقي القارئ في رسالة الغفران بعشرات من الشخصيات في الجنة أو في النار من الرجال والنساء ويلاحظ بالنسبة للشخصيات ما يأتي :

١ — أنها كلها على وجه التقريب شخصيات تاريخية واقعية كان لها مكانها على مسرح الحياة الدنيا .

٢ — أنها شخصيات متنوعة الأديان والعقائد : فمنها المسلم ومنها المسيحي ومنها الجاهلي عابد الوثني .

٣ — أنها شخصيات مختلفة المكانة والقيمة والمركز الاجتماعي فمنها الشريف السري ومنها الصعلوك والوضيع .

٤ — أنها جميعا تلتقي ليجمعها وجه شبه واحد هو احتراف الأدب والعلم أو " الفن بمفهومه الواسع " : فمن هؤلاء : العلماء والنقاد واللغويون مثل يونس بن حبيب الضبي وأحمد ابن يحيى وسيبويه والكسائي وأبو عبيدة والأصمعي .

ومنهم الشعراء مثل : الأعشى وزهير بن أبي سلمى وعبيد بن الأبرص وعدى بن زيد وأبو ذؤيب الهذلي وحسان بن ثابت وتميم بن مقبل .

ومنهم المغنون كالغريض ومعبد وابن سريج .
ومنهم المغنيات مثل : بصبص ودنانير وعنان .

فاذا ماتركنا الشخصيات السابقة التى شاء لها أبو العلاء أن ينالها الغفران فتسكن الجنة يلتقى ابن القارح بشخصيات متعددة لم يتسع لها الغفران لفداحة الذنوب والمآثم التى وقعت فيها فى الدنيا ومن هؤلاء بشار بن برد وأمرؤ القيس وعنترة العبسى وعلقمة الفحل وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وأوس بن حجر والاخطل التغلبى والمرقش الاكبر والمرقش الاصغر والشنفرى وتأبط شرا .

وتوزيع هذه الشخصيات مكانيا فى الجنة أو النار يتميز بخاصية بارزة . إذ يلقاهم المسافر فى الجنة وهم جماعات صغيرة تلتقى فى حلقات تدور كل منها حول جنس أدبى معين . فهناك علماء اللغة . وهناك الشعراء المغنون والهجاءون وشعراء الرجز . أما فى الجحيم فهم على العكس من ذلك يبدون له أفرادا مشتتين أومعزولين عن غيرهم . وسواء أكان المسافر فى الجنة أو الجحيم فهو الذى يبادر من يلقاه بالسؤال عن شخص يود أن يراه . وقد يظهر له هذا الشخص فجأة دون أن يسأل عنه . وعادة مايشيرون له إلى مكانه فى الحالة الاولى أما فى الحالة الثانية فكثيرا ما لايستطيع المسافر أن يتعرف على محدثه للوهلة الاولى لما انتاب ملامحه من التغيير . مما يجعله مضطرا لسؤاله عن اسمه . فاذا تبادل أطراف الحديث مع أحد من أهل الجنة أو النار كان موضوع الحوار الرئيسى دائما حول مسألة غامضة أو شيرة فى أعمالهم الادبية والشعرية وليس من النادر أن نجد أشارة الى واقعة فى حياتهم الخاصة تتصل بفضائلهم أو ذنوبهم أو فقرة من أشعارهم توضح المصير الذى انتهوا إليه فى العالم الآخر (١) .

---

(١) صلاح فضل السابق ٧٣ .

الشخصيات الغيبية :

من الشخصيات التى صورتها رسالة الغفران والتقى بها ابن القارح فى رحلته : الجان والعفاريت ، ومن هؤلاء الكافرون الذين لم يعرفوا الهدى ومنهم المؤمنون الذين استجابوا لدعوة الحق وكلمات الله • ولكنهم على أية حال يتسمون بالقوة الخارقة والقدرة على التشكل والتصور فى صورة حيوانات مختلفة كالحيات والقطط والفئران أو شكل ظواهر طبيعية كالريح (١) • وجن أبى العلاء أهل علم ومعرفة وهم أشعر من البشر بآلاف المرات • يقول : الخيتعور " أحد جنة أبى العلاء متحدثا الى ابن القارح " وهل يعرف البشر من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟ وانما لهم خمسة عشر جنسا من الموزون قل مايعدوها القائلون ، وان لنا لآلاف الأوزان ماسمع بها الانس •••• ولقد نظمت الرجز والقصيد قبل أن يخلق الله آدم ••••" (٢) •

أما الجنى (أبو هدرش) فيؤكد ما ذهب اليه الخيتعور من أنه وبنى جنسه أهل فطنة وذكاء ولا بد للواحد منهم أن يكون عارفا بجميع اللغات الإنسية ولهم بعد ذلك لسان لايعرفه الانس (٣) ويقدم الدليل على شاعريته بقصيدة سينية طويلة (٤) •

وتصوير أبى العلاء للجان لايزيد فى مجموعه على التصور الدينى والموروث الشعبى عن سماته وخصائصه وقدراته الجسدية والعقلية ، ويستلهم فيه ماجاء فى سورة (الجن) بصفة خاصة •

---

(١) أنظر رسالة الغفران ٢٩٣
(٢) رسالة الغفران ٢٩١
(٣) انظر السابق ٢٩٦ •
(٤) السابق ص ٢٩٨ ـ ٣٠٤ •

ومن الشخصيات الغيبية حوريات الجنة أو الحور العين " اللواتى خلقهن الله جزاء للمتقين وقال فيهن " كأنهن الياقوت والمرجان " (١) .

وثمة ملاحظة تشد النظر بالنسبة لهؤلاء الحوريات وهى أنهن غالبا لم يخلقن حوريات من البداية ولكنهن محولات من خلق آخر . فبعضهن كان فى شكل الطير اللاقطة ثم حولتهن القدرة الخالقة " الى خلق حور غير متساقطة " (٢) وبعضهن حولن عن خلق الأوز (٣) وإحدى شجرات الجوز فى الجنة " تنفض عددا لا يحصيه الا الله سبحانه ، وتنشق كل واحدة منه عن أربع جوار يرقن الرائين من قرب والنائين (٤) وتخرج حورية من احدى ثمار السفرجل أو الرمان أو التفاح وتناجى ابن القارح آملة فى وصله وقربه (٥) .

وثمة حوريتان أخريان يلتقى بهما ابن القارح فى الجنة كانتا فى الدنيا بشرا ثم أكرمهما الله بهذا الخلق الجديد فى الجنة وتقص الأولى حكايتها " كنت فى الدار العاجلة أعرف بحمدونة " وأسكن فى باب العراق بحلب ، وأبى صاحب رحى ،وتزوجنى رجل يبيع السقط ، فطلقنى .... وكنت من أقبح نساء حلب ، فلما عرفت ذلك زهدت فى الدنيا الغرارة وتوفرت على العبادة وأكلت من مغزلى ومردنى فصيرنى ذلك الى ماترى .

---

(١) رسالة الغفران ٢٨٦
(٢) السابق ٢٢٤ .
(٣) السابق ٢٣٤
(٤) السابق ٢٧٩
(٥) انظر السابق ٣٢٢ .

وتقول الأخرى " ... أنا توفيق السوداء التى كانت تخدم فى دار العلم ببغداد على زمان أبى منصور محمد بن على الخازن وكنت أخرج الكتب الى النساخ " (١) .

شخصية الحيوانات :

وفى الغفران عشرات من الحيوانات والطيور المختلفة الأنواع والأشكال ، ولكنها فى مجموعها نوعان : —

النوع الأول : حيوانات تاريخية : كان لها وجودها الدنيوى من قبل كما كان لها أهميتها التاريخية لانها ارتبطت بأحداث ووقائع كان لها تأثيرها فى عالم البشر مثل الكلبة براقش (٢) التى ضربت بها المثل فى الجناية على الأهل ، ومثل الفرس (سهل) (٣) التى يضرب بها المثل فى سرعة العدو فيقال (أعدى من سهل) ومثل ذلك الأسد الذى رآه ابن القارح يلتهم من قطعان الجنة المائة والمائتين ولا يشبع ، فيعجب فى نفسه فيلهم الله الأسد فيحكى عن نفسه قائلا " ... أنا أفترس ماشاء الله ، فلا تأذى الفريسة بظفر ولا ناب ، ولكن تجد من اللذة كما أجد ، بلطف ربها العزيز ..... أنا أسد القاصرة (٤) التى كانت فى طريق مصر

---

(١) السابق ٢٨٧

(٢) أنظر رسالة الغفران ٥٣٢ ، وبراقش كلبة كانت لقوم من العرب فأغير عليهم فهربوا وهى معهم فتتبع المغيرون آثارهم بنباحها ، فكان المثل : (على أهلها جنت براقش) .

(٣) السابق ٥٤٧ : وسهل اسم فرس عربى نجيب .

(٤) أسد القاصرة — سبع كان بوادى القاصرة وهى أرض كثيرة السباع بطريق الشام

فلما سافر عتبة بن أبي لهب " يريد تلك الجهة وقال النبي صلـــى الله عليه وسلم " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " ألهمـــت أن أتجوع له أياما ، وجئت وهو نائم بين الرفقة فتخللت الجماعة إليه ، وأدخلت الجنة بما فعلت " (١) .

ومن حيوانات الجنة كذلك ذئب الأسلمي (٢) الذي انطلـق في الجنة يقتنص أسراب ظبائها كما يشاء . وكل هذه حيوانات كـا ن لها أسماؤها ووجودها الدنيوي ولو في أسماع الناس وأذهانهـــم وتصوراتهم وإن لم يروها رأى العيان .

النوع الثاني : حيوانات لاتاريخ لها ، وإن شابهت حيوانـــا ت الدنيا اسما وشكلا إلى حد بعيد . ومنها ذلك الطاووس الـــذي يشتهيه أبو عبيد فيأتيه مطبوخا في صحفة من الذهب فإذا قضـــى منه الوطر ، انضمت عظامه بعضها إلى بعض ، ثم يصير طاووسا كـــا بـــدأ (٣) .

ومنها تلك الأوزة التي تمر مثل البختية ، فيتمناها بعض القوم مشـــواه ، فتتمثل على خوان من الزمرد . فإذا قضيت منها الحاجة عادت بإذن الله إلى هيئة ذوات الجناح (٤) .

---

(١) رسالة الغفران ٣٠٥ .

(٢) الأسلمي هو أهبان بن أوس الأسلمي يعرف بمكلم الذئـــب وذلك لأنه زعم أن الذئب عدا على غنمه فصده فخاطبـــه الذئب قائلا " تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلـــى ؟ فمن لها يوم يشغل عنها ؟ "

(٣) انظر رسالة الغفران ٢٨١ .

(٤) السابق ٢٨٣ .

فهذه الحيوانات ليست كالنوع الأول ذات وجود تاريخي سابق " في الدنيا ، وإن كان لها وجود نوعي في دنيا البشر .

ومن هذه الحيوانات ما كان له وجود دنيوي على غير تسمية وغير شهرة ولكنه قام في دنياه بعمل طيب بعثه الله في جنة النعيم يرتع مع قطعانها التي خلقت في الجنة ولها . بل إن الله يفضله عليها فيحرم صيده : يرى ابن القارح قطيعا من بقر الوحش فيوجه إلى واحدة منه رمحه ليصيدها حتى ما يكون بينه وبينها إلا قيد ظفر قالت " أمسك رحمك الله ، فإني لست من وحش الجنة التي أنشأها الله سبحانه ولم تكن في الدار الزائلة ، ولكنني كنت في محلة الغرور أروده في بعض القفار ، فمر بي ركب مؤمنون قد كرى (نفض) زادهم . فصرعوني واستعانوا بي على السفر . فعوضني الله - جلت كلمته - بأن أسكنني في الخلود " (١) .

لقد أطال أبو العلاء في الحديث عن حوريات الجنة وجمالهن الحسي كما أطال القول في متع الجنة ولذائذها ونعيمها وطعامها وشرابها وثمارها وموائدها وكلها أشياء حرمها أبو العلاء على نفسه في الدنيا : فالمعروف عنه أنه لم يتزوج ، كما أنه حرم على نفسه اللحم وما يخرج من الحيوانات كاللبن ومن الطيور كالبيض . وكأني بما كتبه في رسالة الغفران من وصف نعيم الجنة من حوريات ومطعومات ومشروبات هو " تجسيد " لصوت العقل الباطن واستجابة - بعون الخيال - لنداء الفطرة الإنسانية وإشباع - على سبيل التمني - للغرائز والنزعات البشرية التي قد تتوارى وتختفي في أعماق الانسان ، ولكنها تطل برأسها في اللحظة المواتية ... فتتجسد في الفعل أو في الكلمة أو في الاشارة .

---

(١) رسالة الغفران ١٩٨

فأبو العلاء الذى عاش فى الدنيا محروما من كل هذه الخلائق والأشياء رهين المحبسين أو " فى الثلاثة من سجونه " كما ذكر فى شعره أطلق لقلمه العنان فى وصف ماحرمه على نفسه فى الدنيا بإرادته وما حرمته منه الدنيا على الرغم منه كلون من " الإشباع " أو " التعويض " على سبيل التخيل والتمنى .

الوقائع والأحداث :

أهم مايشد نظر الباحث فى رسالة الغفران عنصران العنصر الأول هو الشخصيات والعنصر الثانى هو الحوار واللغة .

فالشخصيات الإنسانية طابعها العام فى الدنيا هو طابعها العام فى هذا العالم الغيبى : عالم النعيم وعالم الجحيم . وكذلك الحوار ـ كما سنعرف حوار ينسجم مع الطبيعة المهنية لهذه الشخصيات : مسائل تدور حول الشعر والنقد واللغة يحركه أبو العلاء مستندا قدرته اللغوية وشغفه بالحوشى الغريب من الذخائر اللغوية .

أما الأحداث فتمضى هينة لينة رتيبة متشابهة فى أغلبها ليس فيها الحدث المتوهج الذى يفجأ القارىء بمستور غير متوقع أو خفى ، لايخطر على البال . وكثير منها لايخلو من الافتعال مثل ذلك الموقف الذى يلتقى فيه ابن القارح فى أقصى الجنة بالخنساء قريبة من المطلع من النار فيقول من أنت ؟ فتقول أنا الخنساء السلمية أحببت أن أنظر إلى صخر فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ والنار تضطرم فى

رأسه فقال لي لقد صح مزعمك فيّ . يعني قولي :

وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به .. كأنه علم في رأسه نار (١)

فإذا كان هناك شعراء جاهليون غفر الله لهم ووقاهم عذاب الجحيم لأبيات ذات معنى إنساني أو ديني إسلامي وآخرون سكنوا الجحيم لخروج شعرهم عن هذه المفاهيم فالغريب أن ينزل صخر يتلظى في الجحيم " جبلا شامخا والنار تضطرم في رأسه تحقيقا لبيت قالته أخته الخنساء فيه وهو النحار في الشتاء الذي " تأتم الهداة به "

والمسيرة الرتيبة المتباطئة تمضي في هوادة مع ابن القارح ليمر بمشاهد في الجنة والجحيم متشابهة مكرورة كخروج الحوريات من الثمار أو تحول الكائنات الحية إليهن أو بمطاردة الوحوش الكاسرة للظباء وبقر الوحش وافتراسها .. أو تحول الأوز والطواويس إلى أطباق شهية من اللحم ... الخ مشاهد مكررة لغير ضرورة فنية يتطلبها المنطق الروائي والواحد منها يغني عن الكثير المكرور .

والخيال في رسالة الغفران " خيال واقعي " إن صح هذا التعبير أو هو " خيال تفسيري " مقصوص الجناحين يأتي " خادما " للمفاهيم اللغوية والآراء النقدية والأدبية والفلسفية التي كان أبو العلاء أحرص عليها من البناء الفني القصصي الذي يعتمد أول ما يعتمد على الخيال الابتكاري والتحليق

---

(١) رسالة الغفران ٣٠٨ .

والتجهيل حتى عدها بعض المحدثين " أقرب الى الكتب الجغرافية وأوصاف الرحلات الشاهدة منها الى أفانين الشعر ومخترعات الخيال وأشبه إلى التواريخ المدونة منها بالنبوآت المؤلة والغرائب المستطرفة " (١) .

ويؤيد ماذهبنا إليه من " واقعية الخيال " أن كل الشخصيات الانسانية " شخصيات تاريخية ليس فيها شخصية واحدة مخترعة وبعض الحيوانات كذلك كان لها وجودها الدنيوى السابق اسما وسمى ويقف على رأس هذه الشخصيات كلها الشخصية الرئيسية شخصية ابن القارح الحلبى وهو الخيط الذى يمتد من أول رسالة الغفران إلى آخرها .

على أن هذا الحكم الموجز لا يغمط أبا العلاء المعرى حقه فى أنه كان أول أديب عربى طرق هذا الباب على هذا النسق الممتد وهذا النمط الطريف وان سبقه فى هذا المجال ابن شهيد الاندلسى برسالة " التوابع والزوابع (٢) ولكن عمل ابن شهيد كان أضيق مدى وأقل مستوى مما لا يدفع حق المعرى فى ريادة هذا المجال .

عقيدة أبى العلاء فى الغفران :

البحث فى عقائد الناس والتنقيب فى سرائرهم أمر من أصعب الامور ، والحكم على الآخرين حكما حاسما فى هذا المجال أشد صعوبة وخطرا .

---

(١) عباس العقاد : مطالعات فى الكتب والحياة ١١٦ .
(٢) أنظر بروكلمان : تاريخ الأدب العربى الجزء الخامس ٤٣ .

وشخصية أبى العلاء شخصية من أغرب الشخصيات وأكثرها تعقيدا فى الأدب العربى فانتاجها الأدبى فى مضمونه الفكرى " حمال أضداد " فبينما نقرأ له شعرا يتدفق بالالحاد مثل قوله :

إنَّ الشرائعَ ألقتْ بيننا إحَناً ∴ وأورثتنا أفانينَ العَداواتِ
وهل أبيحتْ نساءُ القومِ عن عُرضٍ ∴ للعُربِ إلا بأحكامِ النبوّاتِ (١)

نقرأ له أيضا أبياتا أخرى تنطق بالايمان واليقين كقوله :

أزولُ وليسَ فى الخلّاقِ شكٌّ ∴ فلا تبكوا علىّ ولا تُبكّوا
خذوا بسيرى فهنَّ لكمْ صلاحٌ ∴ وصلّوا فى حياتِكم وزكّوا
ولا تصغُوا الى أخبارِ قومٍ ∴ يصدقُ بينها العقلُ الأركُّ (٢)

فالنصان السابقان بظاهرهما يحتملان تفسيرا من اثنين :ـ

١ ـ أن يكون الشاعر " منفصم الشخصية " ممزق النفس والفكر قلقا لا يستقر على حال ، فمسألة الايمان والالحاد عنده مسألة ارتباطات بمواقف نفسية انفعالية ذاتية بلا أعماق وأبعاد .

---

(١) اللزوميات ٨٦/١
(٢) اللزوميات ١٤٦/٢

٢ — أن يكون الشاعر ملحدا ابتداء ثم تاب أو كان مؤمنا تقيا ثم انحدر إلى غاية الضلال ، فنطق فى كل حال بالشعر الذى يعبر عنهما .

وحتى يكون الحكم صادقا لابد فى مثل هذا الموقف من معرفة أمور متعددة تكتنف النصين ولها بهما علائق ، وهذه الأمور هى :—

أ) الترتيب التاريخى لنظمهما ومكان كل منهما زمنيا من رحلته إلى بغداد فقد كانت هذه الرحلة سببا فى اتصال أبى العلاء بالأديان المختلفة والمذاهب والنحل والفلسفات التى كانت تموج بها مدينة السلام .

ب) ما ارتبط بكل نص من مناسبة أو موقف إن وجد .

جـ) علاقة أبى العلاء برجال الدين ودعاة المذاهب وأرباب النحل فى عصره . فقد تكون أبياته الملحدة لونا من الرد المسرف المنيف على شيوخ عصره وبعض رجال الدين الذين أبدوا فيه رأيا سيئا ، فكانت الأبيات الأولى وما دار فى فلكها نوعا من التحدى للرجال لا للدين .

د) ثقافته وحظه من القراءة والاطلاع ونوع مقروءاته حتى يمكن تبين البصمات التى تركتها هذه الثقافات والقراءات على عقله ومعتقده ، وقد صدق من قال " أخبرنى ماذا تقرأ أخبرك من أنت " .

هـ) الأوضاع الاجتماعية والسياسية فى عصره فقد حال اضطراب الأحوال فى الشام خاصة وفى العالم الاسلامى عامة

دون اهتمام الولاة بالزنادقة ، ولم تترك تقلبات الظروف لديهم وقتا لمقاومة النزعات الإلحادية ، وفي عهد أبي العلاء " لم يهتم المرداسيون أمراء حلب بالشئون الدينية ، ولم يحفلوا بما شاع بين الناس من تشكك في الدين ، وارتياب في العقائد ، ذلك الارتياب الذي شايعه حينئذ كثير من المثقفين ومن رجال الدنيا الماديين " (١) .

والصعوبة التي نصطدم بها في شعر أبي العلاء وخاصة اللزوميات تواجهنا ـ وان كان على مستوى أهدأ وأخفى ـ في رسالة الغفران التي كتبها أبو العلاء بعد عودته المنكوسة من بغداد الى معرة النعمان سنة ٤٠٠ هـ . وكانت كتابة رسالة الغفران في أصح الأقوال بين عامي ٤٢٢ ـ ٤٢٤ هـ . ومعنى ذلك أنه كتبها وهو في قمة نضوجه الفكري والأدبي من ناحية وبعد ممارسة طويلة للحياة والموجودات من ناحية أخرى حيث كان آنذاك في العقد السادس من عمره .

ونواجه فيها كما ألمحنا آنفا ـ نصوصا تنطق بالايمان بالله وقدرته وعظمته في خلقه مع الاستشهاد بآيات متعددة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة مما يدل بظاهرة على سلامة عقيدة أبي العلاء وقوة إيمانه (٢) .

---

(١) حامد عبد القادر : فلسفة أبي العلاء، ١٢٧ .
(٢) أنظر رسالة الغفران ص ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ .... الخ .

ولكن الرسالة خاصة بكثير من النصوص والوقائع التى تصطدم بالعقيدة الدينية وتسخر بكثير من المأثورات الإسلامية . ومن ذلك على سبيل التمثيل :

١ ـ يحمل على بن منصور الحلبى (ابن القارح) كتاب التوبة أو (صك الغفران) ، ولكنه يلبث فى الموقف أمرا طويلا حيث الحر والظمأ ، فيحاول أن " يرشو " سدنة الجنة ومنهم رضوان بقصائد مدح دون جدوى .

وينشغل ابن القارح عن كتاب التوبة فيفقد منه فيستجير بعلى بن أبى طالب الذى يطلب منه شاهدا على التوبة فيستشهد بقاض حلبى يشهد له .

ولكن ابن القارح يحرص على دخول الجنة قبل الحساب فيستعمل الحيلة حتى يخلص إلى فاطمة الزهراء ابنت محمد عليه السلام التى ناله كرمها فيتبعها وكان عليه أن يعبر الصراط ولكنه كان يتساقط يمينا وشمالا فتأمر فاطمة جارية من جواريها أن تجيزه (تساعده) وحملته الجارية إلى باب الجنة ، ووهبته فاطمة الجارية لتخدمه فى الجنان .

يقول ابن القارح : فلما صرت إلى باب الجنة قال لى رضوان " هل معك من جواز ؟ " فقلت لا " فقال " لاسبيل لك إلى الدخول إلا به ، فبعلت بالأمر (١) ، وعلى باب الجنة شجرة صفصاف ، فقلت أعطنى ورقة من هذه الصفصافة حتى أرجع الى الموقف فآخذ عليها جوازا ، فقال :

---

(١) أى أصابتنى الحيرة والعجز .

لا أخرج شيئاً من الجنة إلا باذن من العلى الأعلى ، تقدس وتبارك .... والتفت ابراهيم - صلى الله عليه - (ابن النبى عليه السلام) - ... فجذبنى جذبة حصلنى بها فى الجنة (١) .

والمشهد كما هو واضح شديد التهكم على القيم والمبادئ الاسلامية التى لاتعرف " صكوك الغفران و " كتب التوبة " ودخول الجنة " بالوسائط " إنما معيار التفضيل هو العمل والصلاح والتقوى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم) كما أن المشهد الذى لخصناه تلخيصا شديدا فيه استهانة بالملائكة وتشويه لموقف الحساب كما صورته الآيات القرآنية والأحاديث الصحاح .

٢ - أطال ابن القارح فى سؤال أهل النار والحديث معهم فيغضب ابليس الذى كان يعذب فى النار أشد العذاب ويقول لزبانية النار - وهم ملائكة - " ما رأيت أعجز منكم إخوان مالك ، فيقولون : كيف زعمت ذلك يا أبا مرة فيقول : ألا تسمعون هذا المتكلم بما لايعنيه ؟ قد شغلكم ، وشغل غيركم ، فلو أن فيكم صاحب نحيزة قوية لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه الى سقر .. " (٢)

وهذا إصرار على الشر يستحق أن يضحك منه ، اذ ما أبعد ما ينبغى أن يكون الإغواء من المعذب الذى يضطرب فى الأغلال والسلاسل وتأخذه مقامع الحديد فى أيدى الزبانية !!! وما أغرب

---

(١) رسالة الغفران ٢٦٢ .
(٢) رسالة الغفران ٣٥٠ .

أن يتخذ إبليس الزبانية آلة وجندا يستعين بهم على الإضرار والكيد وهم جند الله المسلط عليه لإضراره بالناس وكيده لهم (١) .

والأمثلة التي تسير في هذا الفلك كثيرة في رسالة الغفران (٢) لعل أشدها نكرا ماجاء على لسان النابغة الجعدي مخاطبا النابغة الذبياني " اسكت ياضُلّ بن ضُلّ : فأقسم أن دخولك الجنة من المنكرات ولكن الاقضية جرت كما شاء الله ، لحقك أن تكون في الدرك الاسفل من النار ولقد صلى (عذب) بها من هو خير منك ، ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت إنك غلط بك ...." (٣) .

ومثل هذا النص الصارخ في رسالة الغفران وغيره من المنظوم في اللزوميات زيادة على مافهم من كتابه (الفصول والغايات) وما نسج حول هذا الكتاب الاخير من أقوال وحكايا : كل أولئك دفع كثيرا من الكتاب والمفكرين الى اتهام أبي العلاء في عقيدته ورميه بالزندقة والالحاد .

---

(١) العقاد : مطالعات ١٣٨

(٢) أنظر مثلا ماجاء ص ٣٠٩ عن (الولدان المخلدين)

(٣) رسالة الغفران ٢٣٠ .

اللغـــة والحـــوار :

رسالة الغفران من أولها الى آخرها غاصة بالكلمات الغريبـــة المعجمية . حتى مفتتح الرسالة جاء مغلقا يصعب على الـــدارس فهمه إلا بصحبة أحد المعاجم ولنقرأ هذه السطور الاولــــى ، والمخاطب فيها ـ كما علمنا ـ هو على بن منصور الحلبى (ابــــن القــــارح) :

" قد علم الجَبْرُ (١) الذى نسب اليه " جبرئيل " وهــــو فى كلِ الخيراتِ سبيل أن فى مَسْكَنِى حَمَاطَة (٢) ماكانت قــــط أفانِيَةً (٣) ، ولا الناكِزةُ (٤) بِها غانية (٥) ، تثمر من مودة مولاى الشيخ الجليل ـ كبت الله عدوه ، وأدام رواحه إلى الفضـــل وغدوه ـ مالو حملته العالية من الشجر لدنت الى الارض غصونهـــا وأذيل (٦) من تلك الثمرة مَصُونها . والحَمَاطة ضرب من الشجـــر يقال لها إذا كانت رطبة : أفانِيَة . فاذا يبست فهى حَمَاطـــة قال الشـــاعر :

إذا أمُّ الوليدِ لم تُطِعْـــنِى ⁂ حَنَوتُ لها يدى بِحَمَاطٍ حَسَـاطِ
وقلت لها : عليك بنى أقيْـــشٍ ⁂ فانك غيرُ معجبة الغـــطاط (٧)

---

(١) الله . والجبر تأتى بمعنى الملك والعبد .
(٢) يقصد بها حبة القلب وهو فى الأصل شجر .
(٣) افانية : واحدة الافانى وهو شجر الحماط اذا كان رطبا .
(٤) الحية .
(٥) مقيمة (٦) أهين (٧) الغطاط : مجاوزة القدر . من غط اذا بعد والغطاط : الطول وحسن القوام والاستقامة فى الرمح . وهو أيضا الجور والتجاوز (أنظر رسالة الغفران ١٢٩ ـ ١٣٠)

... أخرى من سمات لغة المعرى وهى غلبة السجع على أسلوب الرسالة وكثير منه متكلف غير مستساغ مثل قوله مشيرا إلى رسالة ابن القارح " .. وقد وصلت الرسالة التى بحرها بالحكم سجور ، ومن قرأها مأجور ، إذ كانت تأمر بتقبل الشرع ، وتعيب من ترك أصلا إلى فرع ، وغرقت فى أمواج بدعها الزاخرة ، وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة ، ومثلها شفع ونفع ، وقرب عند الله ورفع .... " (١) .

ولم تخل الرسالة من ضروب البديع الأخرى كالجناس التام فى قوله :

" ... هيهات هذه أباريق ، تحملها أباريق ، كأنها فى الحسن الأباريق : فالأولى هى الأباريق المعروفة ، والثانية من قولهم : جارية إبريق إذا كانت تبرق من حسنها ، قال الشاعر :

وغيداء إبريق كأن رضابها ... جنى النحل ممزوجا بصهباء تاجر

والثالثة من قولهم : سيف ابريق : مأخوذ من البريق (٢) ..

ولعل هذا الغرام بالغريب وضروب الصنعة اللفظية المتكلفة هو الذى دفع بعض الكتاب المحدثين إلى اعتبار رسالة الغفران فى باب المقامات " كمقامات الحريرى وبديع الزمان الهمذانى (٣)

---

(١) رسالة الغفران ١٣٩ - ١٤٠

(٢) السابق ١٤٤

(٣) انظر الزيات : " فى أصول الأدب " ص ٣٧٠

ولكننا نرى أنها - وإن التقت مع فن المقامات في هاتين السمتين : غرابة الألفاظ والمحسنات البديعية - تختلف عنها في وجوه كثيرة أهمها :

١ - أنها أكثر من المقامات تحررا وأقل منها التزاما للبديع وخاصة في الحوار الذي يدور بين ابن القارح والشعراء والأدباء واللغويين في الجنة أو الجحيم .

٢ - أن شخصياتها الرئيسية شخصيات تاريخية واقعية أما الشخصيتان الرئيسيتان في المقامات : شخصية البطل وشخصية الراوية فمخترعتان .

٣ - أن موضوع الغفران " رحلة في العالم الآخر " : نعيمه وجحيمه . أما " موضوعات " المقامات وأحداثها فتدور على الأرض في دنيا الناس .

٤ - على أن هناك فارقا " كميا " وهو أن رسالة الغفران أكثر امتدادا وأطول نفسا من المقامة ، وإذا صح تشبيه المقامة بالأقصوصة أو القصة القصيرة فإن " رسالة الغفران " أقرب إلى القصة الطويلة ذات الطابع الملحمي .

والمعري يطلق صاحبه " ابن القارح " ليجري حوارا يستغرق أغلب رسالته مع أصحاب الجنة وأصحاب النار من الشعراء والأدباء والرواة واللغويين والجنّة والحيوانات وهو في مجموعه حوار لا يخدم البناء القصصي الدرامي فكثير من المواقف والمناسبات التي تثيره وتجريه لم تخل من الافتعال ، إنما يأتي الحوار ليخدم هدفا أساسيا لأبي العلاء وهو إبراز قدرته الفائقة في علمه باللغة والشعر والتاريخ وليكون نافذة يطل منها أبو العلاء

بآرائه الدينية والفلسفية والنقدية . فنحن نعلم أن أبا العلاء خرج صفر اليدين منكوسا من رحلته الأدبية إلى بغداد حيث خسر المال والكرامة والجهد ، ولازمته " عقدة الأدب الخاسر " وضيق رزق الأديب ... لازمته هذه العقدة في محبسه أو محبسيه بمعرة النعمان ، لتجد هذه العقدة متنفسها في هذا الحوار الذي يدور بين ابن القارح وابليس . يقول ابليس الذي كان في النار يضطرب في الاغلال والسلاسل ومقامع الحديد : من الرجل ؟ فيقول ابن القارح " أنا فلان بن فلان من أهل حلب . كانت صناعتي الأدب أتقرب به الى الملوك" فيقول / بئس الصناعة ، انها تهب غفة من العيش (١) لايتسع بها العيال ، وانها لمزلة (٢) بالقدم وكم أهلكت مثلك ! فهنيئا لك إذ نجوت .... " (٢) .

وقد كان ابو العلاء يتهم أبا تمام في دينه وهو في رسالته يجري حوارا بين عنترة وابن القارح يضمنه ابو العلاء رأيه في شعره . يقول عنترة بعد أن أنشده ابن القارح بيتين لحبيب ابن أوس (أبي تمام) : وما حبيبكم هذا ؟ فيقول : شاعر ظهر في الاسلام ، وينشده شيئا من نظمه . فيقول : أما الأصل فعربي وأما الفرع فنطق به غبي ، وليس هذا المذهب على ماتعرف قبائل العرب " فيقول وهو ضاحك مستبشر : انما ينكر عليه المستعار ، وانما جاءت العارية في أشعار كثير من المتقدمين الا أنها لاتجتمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب بن أوس (٣) فيبـ

---

(١) أي بلغة وقليلا من العيش .
(٢) رسالة الغفران ٣٠٩
(٣) السابق ٣٢٤ .

تمام ـ وان كانت لغته العربية ـ شاعر فهي أفسد الشعر باغراقـه في الخيال أو المعاربة ، والستعار في ذاته لا يعاب انما يعاب الاكثار منه والاغراق فيه . وتأمل السؤال بـ " ما " لا بـ " من " عن " هذا الحبيب " ـ وضحك ابن القارح ـ وان شئت فقل المعري ـ واستبشاره باتهام أبي تمام بالغباء والخروج على " المذهب العربي " في الاقتصاد في الخيال والستعار .

واذا ماعرضت مسألة لغوية أو نحوية ـ أو بتعبير أدق ـ اذا ما أراد لها أبو العلاء أن تعرض ـ استقصاها إلى أقصى حدود الاستقصاء ملقيا بكل ثقله في مضمارها ، طارحا ما يمكن أن يكون اعتراضا على ما أبدى فواجه في المسألة الواحدة نقدا ثم ردا على النقد ثم نقضا للرد بطريقة استطرادية ، جافة (١) .

وأخيرا يشد نظرنا في أسلوب رسالة الغفران مقدرة لغوية أخرى وهي الجمل الاعتراضية الكثيرة المتنوعة وهي دعاء لابن القارح إذا أراد الكلام ، أو جاء ذكره على سبيل الرواية . ومن أمثلتها :

١ ـ وقد علم . أدام الله جمال البراعة بسلامته ـ (ص ١٣٢)
٢ ـ ثم انه ـ أدام اللهُ تمكينه ـ يخطر له حديث .. (١٢٥)
٣ ـ وهو ـ أكمل الله زينة المحافل بحضوره ـ يعرف الاقوال في هذا البيت ... (١٢٩) .
٤ ـ فيقول ـ زادَ اللهُ في أنفاسه ـ انى سألت من .. (٢٠١)
٥ ـ فيقول ـ لازال قوله عاليا ـ يا أبا سوادة .. (٢٠٣)

---

(١) أنظر مثلا ما ورد في كلمة " سُهَد " التي جاءت في أبيات لبشار (رسالة الغفران) من ص ٣١١ الى ص ٣١٣ .

٦ - ويتلو - جَمَّل الله ببقائه - هذه الايـــة ... (٢٠٤)
٧ - فيقول - أرغم اللهُ أنفَ شانئهُ - تنشد ..... (٢٠٥)
٨ - فيقول - أعظم الله حظه في الثـــواب - .... (٢١٧)
٩ - فيقول - رفع اللهُ صوتَـــه - .... (٢١٩)
١٠- ويخطر له - جعل الله الإحسان اليه مَرْبُوبا ، ووده
في الافئـــدة مشبوبًـــا - .... (٢٢٤)
١١- فيقول - لازال مِقْوَلا للخير - .... (٢٤٠)
١٢- ويهدو له - أيد الله مجده بالتأييد - أن يصنع
مادبـــه .... (٢٦٨)
١٣- فيقترح - أمضى القادر له اقتراحه - ...... (٢٦٨)
١٤- ويَجِس في صدره - عمره الله بالســرور - أرجاءه (٢٧٠)
١٥- ويقول - لافتئ ناطقا بالصـــواب - ...... (٢٧٢)
١٦ - ويعرض له - أدام الله الجمال ببقائه - ..... (٢٧٥)
١٧- ويقول - لازال منطقا بالســـداد - .... (٢٧٩)
١٨- ويخلو - لا أخلاه الله من الإحسان - بحوريتين له (٢٨٩)
١٩- فيهم الشيخ - لازالت همته عالية - ...... ([illegible])
٢٠- فيذهب - عرفه الله الغبطة في كل سبيل - .... (٣٠٧)
٢١- فيقول - أحل الله الهلكة بمبغضه - ...... (٣٤٧)
٢٢- فيقول - أجزل الله عطاءه من الغفران - ... (٣٥٩)
٢٣- فيقول - وفر الله قسمه من الثواب - ...... (٣٦٠)
٢٤- فاذا رأى - لازال خصمه مغلوبـــا - ...... (٣٧٥)
٢٥- ويذكر - أذكره الله بالصالحات - .... (٣٧٧)

وهذا التنويع والتلوين في هذه الجمل الاعتراضية لهو دليل آخر على القدرة الفنية لأبي العلاء فهو لم يكرر جملة منها إلا مرتين أو ثلاث مرات في الرسالة كلها . ومن ناحية أخرى يراعي أبو العلاء طبيعة الموقف بالنسبة لكل جملة من الجمل السابقة

أى يراعى " مقتضى الحال " حتى يكون ثمة انسجام فنى بين " الجملة الاعتراضية الدعائية " والمقام الذى ينفسح للقول أو الرؤية :-

فابن القارح يتمنى أن يرى سحابا كالسحاب الذى وصفه عبيد بن الابرص فى شعره فينشئ الله - تعالت آلاؤه - سحابة كأحسن مايكون من السحب من نظر اليها شهد انه لم يَرَ قَـطّ شيئا أحسن منها محلاة بالبرق فى وسطها وأطرافها ، تمطر بماء ورد الجنة من طل وطش ، وتنثر حصى الكافور كأنه صغار البرد .... (١) .

فنحن أمام مشهد بَصَرى منظور يتدفق بالجمال ويشد النظر لذا يصدره أبو العلاء بجملة دعائية اعتراضية تناسبه (ويعرض له - أدام الله الجمال ببقائه - الشوق الى نظر سحاب ....) .

وسياق آخر يؤيد ما ذهبنا اليه بشأن هذه السمة : يقول الأخطل التغلبى : انى جزت الذارع ولقيت الدارع ، وهجوت الأبدة ، ورجوت أن تدعى النفس العابدة ، ولكن أبت الا قضية " .

فالصورة هنا صورة رجل آثم يعتد بنفسه ويتهم القضاء والقدر بافساده ، وهو منطق فاسد ، يناقض ماعليه ابن القارح من تقوى وصلاح وحكمة لذا كان الدعاء بالموت على مبغضه هو أنسب الدعاء: " فيقول - أحل الله الهلكة بمبغضه - أخطأت فى الأمر مرتين ...." (٢) .. الخ

(١) رسالة الغفران ٢٧٥

(٢) رسالة الغفران ٣٤٧ .

رسالة الغفران وكوميديا دانتي :

مسألة التأثر والتأثير من أصعب المسائل وأكثرها تعقيدا ومزالق . والفصل فيها يحتاج الى عقل بصير وأناة وتعمق وتعرف واسع المدى . فلا يكفي أن يكون ثمة تشابه بين أثرين أدبيين حتى يهرع الباحث إلى القول بتأثر اللاحق بالسابق . وربما لم يسمح الأول بالثاني بله القراءة له .

وتأثير العرب في أوربا في المجالات الفكرية والعلمية والاقتصادية أصبح مسلمة من المسلمات التي لاتحتمل الجدل بالمناقشة بعد البحوث المتعددة التي أثبت بها الغربيون أنفسهم هذه الحقيقة حتى بالنسبة للكشوف التي اشتهر خطأ أن الغربيين هم أصحابها كنظرية " تركيب البارود المندفع " فقد وضعها العرب ونفذوها عمليا في القرن الثاني عشر الميلادي (١) .

وقد شاء القدر الذي صنعه العرب بأيديهم أن تكون امبراطوريتهم مسرحا لحضارة مادية باهرة وثقافة علمية فكرية زاهرة ، وشاء لها موقعها الجغرافي أن تكون مركزا أساسيا للتجارة العالمية (٢) .

وتثور مسألة التأثير والتأثر بالنسبة للكوميديا الالهية لدانتي (١٢٦٥ ـ ١٣٢١ م) وربما كان أول من أثار هذه

---

(١) أنظر ص ٥٠ وما بعدها من السفر القيم الضخم (شمس العرب تسطع على الغرب) للمستشرقة الألمانية : زيغريد هونكة .
(٢) السابق ٣٢٠

المسألة المستشرق الإسبانى (أسين بلاثيوس) وهو يلقى خطاب استقباله فى الأكاديمية الملكية الأسبانية فى جلسة ٢٦ يناير سنة ١٩١٩ لما أعلن أن دانتى فى الكوميديا الالهية" قد تأثر بالاسلام تأثرا عميقا واسع المدى يتغلغل حتى فى تفاصيل تصويره للجحيم والجنة . إذ تبين أن ثمة مشابهات وثيقة بين ماورد فى بعض الكتب الاسلامية عن معراج النبى صلى الله عليه وسلم وما فى رسالة الغفران "للمعرى وبعض كتب محيى الدين ابن عربى من ناحية وبين ماورد فى (الكوميديا الإلهية) وفى هذه المشابهات من الدقة والتفصيل مايجعل من المؤكد أن التشابه هنا لم يكن أمرا عرضيا وتوارد خواطر . بل كان من تأثر مباشر بالتصورات الاسلامية للآخرة . وراح (أسين) يحدد نقط التشابه هذه استنادا الى المصادر الاسلامية مقارنا اياها بما ورد فى (الكوميديا الإلهية) وكل ذلك بعلم غزير ومنهج دقيق (١) .

وكتاب " معراج محمد " ترجمة من العربية الى الاسبانية ابراهام الطليطلى الطبيب الخاص للملك الفونسو العاشر بناء على تكليف من الملك . وكان ذلك سنة ١٢٦٣ م ثم كانت الترجمة الفرنسية عن الاسبانية سنة ١٢٦٤ م . وقد قام بترجمة الكتاب من الاسبانية الى الفرنسية والى اللاتينية مترجم ايطالى كان يعمل رئيسا لسجلات الفونسو العاشر (٢) .

---

(١) د . عبد الرحمن بدوى (دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى ص ٦٣)

(٢) أنظر صلاح فضل : تأثير الثقافة الاسلامية فى الكوميديا الالهية لدانتى ص ٦٠ .

ولقد تتبع الدكتور صلاح فضل فى كتابه القيم القنوات التى يحتمل أن تكون ترجمة كتاب (معراج محمد) والتراث الاسلامى الشعبى قد سلكتها للوصول الى دانتى (١) مما يخرج عن نطاق بحثنا المحدود ويكفينا فى نطاق اثبات تأثر دانتى برسالة الغفران للمعرى أن نقرر أن هذا التأثر لايمكن انكاره اذا سلمنا بثلاثة أمور ثابته على وجه التحقيق وهى :ـ

١ ـ السبق الزمنى لرسالة الغفران على الكوميديا الإلهية .

٢ ـ اطلاع دانتى على الفكر العربى والثقافة الاسلامية ومعرفته بالتراث الإسلامى الشعبى واعجابه باللغة العربية وثقافتها .

٣ ـ التشابه بين رسالة الغفران والكوميديا الالهية لا فى الخطوط العريضة فقط بل فى كثير جدا من التفصيلات الجزئية الدقيقة . مما ينفى أن تكون المسألة مجرد توارد خواطر أو تشابه مرده تأثرهما بالمنبع الاصيل وهو " معراج محمد " عليه السلام لأن هذه التفصيلات لاوجود لها بهذا التحديد فى قصة المعراج .

ومن هذه التفصيلات الجزئية :

١ ـ لقاء ابن القارح بحوريتين فى الجنة الأولى كانت فى الدنيا تدعى (حمدونة) وكانت قبيحة الشكل فطلقها زوجها فزهدت فى الدنيا وتوفرت على العبادة . والثانية هى (توفيق السوداء) التى كانت فى الدنيا تخدم فى دار العلم

---

(١) أنظر السابق ٦٣ ـ ٦٩ .

ببغداد وتخرج الكتب للنساخ .

وكان جزاء العبادة وجزاء خدمة العلم وأهله تحولهما في الآخرة الى حوريتين من حوريات الجنان .

ومثل ذلك في " كوميديا " دانتي لقاؤه مع " بياتريتشا " في المطهر ومع " بيكاردا دوناتي " الفلورنسية في سماء القمر ومع " كونيزا دي رومانو " في سماء الزهرة حيث تنعى أولاهن — مثل حمدونة — حظها التعس وشقاءها في حياتها الزوجية . وما تبدو عليه " بيكاردا " من جمال رائع لم يكن لها في الدنيا مثل توفيق السوداء . ولكلهن يتقدمن إلى دانتي ويذكرن له أسماءهن في الدنيا وموطنهن كي يغمرن فضوله ويثرن عجبه بنفس طريقة الغفران .

٢ — التقاء كل من ابن القارح ودانتي بآدم وسؤاله عن اللغة التي يتكلم بها .

٣ — عندما يعود ابن القارح من الجحيم تلقاه الحورية المكلفة بخدمته فتلومه برقة على تأخره وتصحبه في نزهة بين حدائق الجنان .

وهو نفس ما تفعله الحسناء " ماتيلدى " مع دانتي حيث تلقاه باسمة عاتبة عند دخوله غابة الفردوس الأرضي .

٤ — يلتقي ابن القارح بملك الجان الشاعر " خيتعور " ومعقبات تقف في طريقه على مدخل الروضة التي تسكنها أرواح الجان تتمثل في أسد يفترس بقر الجنة وذئب يقتنص ظباءها دون شعورها بألم مع عودتها للحياة مرة أخرى .

ويلتقى كذلك دانتى بفرجيل " رائد الشعراء الكلاسيكيين وأمير الملاحم بعد أن يتخطى عقبة تتمثل فى نمر وأسد وذئب (١) .

٥ ـ يعبر ابن القارح الصراط الى الجنة على ظهر جارية من جواري السيدة فاطمة الزهراء فتحمله وتجوز به كالبرق الخاطف ......
مثلما يعبر دانتي وفرجيل النهر الذى يصل بين الحلقتين السابعة والثامنة على متن " جيريون " .

٦ ـ يرفض الشاعر العربى " بشار بن برد الاجابة على أسئلة ابن القارح ويصيح به عندما يلح عليه : يا هذا دعنى من أباطيلك فانى لمشغول عنك .

ومثل هذا الموقف يمر به دانتى مع " بوكا دلجى أباتى " الذى يرفض الاجابة عن أسئلته ويودعه أيضا بمثل هذه العبارات الساخطة.

٧ ـ يدور حوار بين ابن القارح وابليس يزرى فيه الأخير بمهنة الأدب ، ويحاول أن يشككه فى دينه . وشبيه بهذا ـ بصفة عامة ـ ما نجده عند دانتى فى وصفه للعملاق النارى " افلياتى " الذى يلقاه عند انتقاله من الحلقة الثامنة الى التاسعة من حلقات الجحيم (٢) .

---

(١) أنظر صلاح فضل : السابق ٧٨ ـ ٨٠
(٢) أنظر السابق ٨١ ـ ٨٢ وأنظر كذلك من ص ٢٧ الى ص ٧٧ حيث أبرز المؤلف وجوه الشبه بين أبى العلاء ودانتى فى الخطوط العريضة من ناحية الموضوع والمنهج والوسائل الفنية .

الفصل الرابع

(التراث في صورة أمثال وحكم)

كتاب (مجمع الأمثال) للميداني (ت ٥١٨ هـ)

الكاتب :

هو أبو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري الأديب ، والميداني نسبة الى " ميدان زياد بن عبد الرحمن) وهي محلة في نيسابور .

كان فاضلا عارفا باللغة ، اختص بصحبة أبي الحسن الواحدي صاحب التفسير ثم قرأ على غيره ،واتقن فن العربية خصوصا اللغة وأمثال العرب . وله غير كتاب (مجمع الامثال) كتاب آخر هو (السامي في الأسامي) ، وقد سمع الحديث ورواه وكان ينشد الشعر كثيرا وربما نظمه (١) .

مكانة الكتاب :

كتاب مجمع الأمثال الذي تقارب صفحاته الألف من أشهر كتب الأمثال ان لم تكن أشهرها على الاطلاق . قال عنه ابن خلكان : كتاب مجمع الامثال لم يعرف مثله في بابه (٢) .

ويقال ان الزمخشري وقف على كتاب مجمع الأمثال للميداني فحسده عليه فزاد في لفظة الميداني نونا قبل الميم فصار (النميداني) ومعناه بالفارسية (الذي لايعرف شيئا) .

---

(١) أنظر وفيات الأعيان ١٤٨/١

(٢) السابق نفس الصفحة .

ويقال كذلك أن الزمخشري بعد ما ألف كتابه (المستقصى في الأمثال) وقع في يده مجمع الأمثال فأطال نظره فيه وأعجبه جدا . ويقال انه ندم على تأليفه المستقصى لكونه دون مجمع الامثال في حسن التأليف والوضع وبسط العبارة وكثرة الفوائد .

وقد قام بعض تلاميذ الميداني باختصار الكتاب ومن هؤلاء : شهاب الدين محمد بن أحمد القصاعي . وأبو يعقوب يوسف بن طاهر الخويي . (١)

المثل والحكمة :

من المعاني اللغوية للمثل : الحجة والحديث (٢)
وقد عرض الميداني في مفتتح كتابه لأقوال متعددة في مفهوم المثل منها :

١ - قول المبرد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول . والاصل فيه التشبيه .

٢ - قول ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ .

٣ - قول غيرهما : سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول مشتقة من (المثول) الذي هو الانتصاب .

---

(١) أنظر : مجمع الأمثال : التقديم ص ٢ - ص ٤ .
(٢) القاموس المحيط ٤٩/٤ .

٤ — قول ابراهيم النظام : يجتمع فى المثل أربعة لاتجتمع فى غيره من الكلام : ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة ٠

٥ — قول ابن المقفع : اذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث ٠

ولعل ماذكره المبرد والنظام هو أدق هذه الأقوال وأدلها على طبيعة (المثل) وسماته الفنية والفكرية : فهو قول موجز حكيم يرد فى حادثة ما ويذيع على الألسنة فيضرب فى كل حالة تشبه الحالة الأولى التى ورد فيها ٠

ومن ثم يرتبط المثل باعتبار استعماله بحادثتين : الأولى التى ذكر فيها المثل لأول مرة وتسمى (مورد المثل) والثانية التى يستشهد فيها بالمثل وتسمى (مضرب المثل) ومن ذلك نستطيع أن ندرك ما يلتقى فيه المثل والحكمة ٠ وما فيه يختلفان :

فالمثل يشبه الحكمة فى الإيجاز واصابة الفكرة ٠ ولكنهما يختلفان من وجوه تتلخص فيما يأتى : —

١ — انفراد المثل بالارتباط بمورد ومضرب ٠
٢ — الحكمة ذات مضمون فكرى وانسانى وأخلاقى وذات طبيعة توجيهية سلوكية فهى لاتصدر الا عن طائفة خاصة من ذوى الثقافة العالية والتجارب الطويلة فشخصية قائلها لها اعتبار ٠

أما المثل فالاعتبار الأول " للحادثة " لا لشخصية قائله ومركزه الاجتماعى وحظه من الثقافة والتجربة ٠

خطـــة الكتاب ومنهجه :

يضم (مجمع الأمثال) مايزيد على ستة آلاف مثل ، جعلهـــــا الكاتب فى أبواب على نظام حروف المعجم الثمانية والعشـــــرين ، ومن ثم جاء الكتاب فى ثمانية وعشرين بابا ، وذيله بعد ذلك ببابين .

الباب التاسع والعشرين فى أسماء أيام العرب .
والباب الثلاثين فى نبذ من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشـــــدين .

وكل باب من أبواب الكتاب ـ عدا البابين الأخيرين يضـــــم ثلاثـــــة أقسام :

الأول : الأمثال الأصلية التى تبدأ بالحرف المعجمى .
الثاني : ماجاء على وزن أفعل .
الثالث : ماجاء من أمثال المولدين .

ولنعش مع مختارات من هذه الأمثال على النســـق الســـابق الذى أراده الكاتب لنتبين جهده بعد ذلك :

١ ـ ان من البيان لسحرا . (ص ١٠) ج ١
ـ آلف من حمام مكة . (٩٠)
ـ اذا افتقر اليهودى نظر فى حسابه العتيق (٩١)

٢ ـ بلغ السيل الزبى (٩٦)
ـ أبلغ من قـــس (١١٧)
ـ بعض الحلم ذل (١٢٧)

٣ ـ تضرب فى حديد بارد (١٣٣)
ـ أتعب من رائض مهر (١٥٥)
ـ تزاوروا ولا تجاوروا (١٥٨)

٤ ـ الثكلى تحب الثكلى . (١٦١)

ـ أثقل من شهلان . (١٦٣)

٥ ـ جزاء سنمار (١٦٧)

ـ أجود من حاتم (١٩٩)

ـ جنة ترعاها خنازير (١٩٩)

٦ ـ حسبك من شر سماعه (٢٠٣)

أحمق من أبي غبشان (٢٢٦

حظ في السحاب وعقل في التراب (٢٣٩)

٧ ـ خالف تذكر (٢٤٣)

ـ أخطب من سحبان وائل (٢٥٩)

ـ خذ القليل من اللئيم وذمه (٢٧٣)

٨ ـ ادفع الشر عنك بعود أو عمود (٢٧٨)

ـ أدهى من قيس بن زهير (٢٨٤)

ـ الدراهم مراهم . (٢٨٥)

٩ ـ الذئب خاليا أسد (٢٨٩)

ـ أذل من حمار مقيد (٢٩٥)

ـ ذهب الحمار يطلب قرنين فعاد مصلوم الأذنين (٢٩٨)

١٠ ـ رهبوت خير من رحموت (٣٠٠)

ـ أرسى من رصاص (٣٢٨)

ـ رأس الدين المعرفة (٣٣٠)

١١ ـ زين في عين والد ولده (٣٣٢)

ـ أزهى من طاووس (٣٤٠)

ـ الزريبة الخالية خير من ملئها ذئابا (٣٤١)

١٢ — سكت ألفا ونطق خلفا (٣٤٣)
— أسرع من اليد الى الفم (٣٦٢)
— السنور الصياح لايصطاد شيئا (٣٧١)

١٣ — شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه (٣٧٣)
— أشأم من البسوس (٣٨٨)
— شهر ليس لك فيه رزق لاتعد أيامه (٤٠٤)

١٤ — صدقك ينبي عنك لا الوعيد (٤٠٠)
— أصعب من وقوف على وتد (٤٢٦)
— صديق الوالد عم الولد (٤٣٠)

١٥ — الضرب يجلى عنك الا الوعيد (٤٣٥)
— أضيق من ظل الرمح (٤٤٠)
— ضع الامور مواضعها تضعك موضعك (٤٤٢)

١٦ — طعن اللسان كوخز السنان (٤٤٧)
— أطمع من أشعب (٤٥٤)
— الطيور على ألافها تقع (٤٥٨)

١٧ — ظاهر العتاب خير من باطن الحقد (٤٦١)
— أظمأ من حوت (٤٦٣)
— ظلم الاقارب أشد مضضا من وقع السيف (٤٦٤)

١٨ — عند جهينة الخبر اليقين (٤٦٤)
— أعز من كليب وائل (٥٠٣)
— العفة جيش لايهزم (٥١٧)

١٩ — غثك خير من سمين غيرك (٤) ج ٢
— أغدر من قيس بن عاصم (١١)
— غاب حولين وجاء بخفي حنين (١٣)

٢٠ ـ في الصيف ضيعت اللبن (١٥)
ـ أفرس من ملاعب الأسنة (٣٣)
ـ الفضل للمبتدى وان أحسن المقتدى (٣٨)

٢١ ـ قطعت جهيزة قول كل خطيب (٣٨)
ـ أقوى من نملة (٧١)
ـ قد ضل من كانت العميان تهديه (٧٦)

٢٢ ـ كانت بيضة الديك (١١٧)
ـ أكذب من مسيلمة (١١٧)
ـ كان سندانا فصار مطرقة (١١٩)

٢٣ ـ لكل أناس في بعيرهم خبر (١٢٨)
ـ ألذ من اغفاءة الفجر (٢٠٤)
ـ لو كان في البومة خير ماتركها الصياد (٢٠٩)

٢٤ ـ ما على الأرض شيء أحق بطول سجن من لسان (٢١٤)
ـ أمرق من السهم (٢٨١)
ـ من أهان ماله أكرم نفسه (٢٨٤)

٢٥ ـ نفس عصام سودت عصاما (٢٩٣)
ـ أنور من صبح (٣١٩)
ـ نزلت منه بواد غير ذى زرع (٣٢٠)

٢٦ ـ وجد تمرة الغراب (٣٢٥)
ـ أوثب من فهد (٣٤٣)
ـ وجهه يرد الرزق (٣٤٤)

٢٧ ـ هدنة على دخن (٣٤٥)
ـ أهون من النباح على السحاب (٣٧٢)
ـ همه لايجاوز طرفى ردائه (٣٧٤)

٢٨ ـ ياطبيب طب لنفسك (٣٧٥)
ـ أيبس من صخر (٣٩٢)
ـ يبنى قصرا ويهدم مصرا (٣٩٣)

ويأتى الباب التاسع والعشرون فى أسماء أيام العرب فى الجاهلية والاسلام مثل : يوم الجفار ويوم الفجار ويوم عكاظ .... ويوم بدر ويوم القادسية ويوم الحرة .... ألخ وهو يحرص على ذكر ضبط الكلمة ويذكر فى ايجاز سر التسمية ومناسبة الوقعة ولمن كانت الغلبة ، وقد يسوق بعض ماقيل فيها من شعر .

ويختم الكتاب بالباب الثلاثين وفيه جوامع كلم للرسول عليه السلام وخلفائه الراشدين المهديين وبعض الصحابة وهى كلمات تجرى مجرى الحكم الموجزة البالغة :

فمن كلام الرسول : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ـ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ـ الرزق أشد طلبا للعبد من أجله ـ رأس الحكمة مخافة الله (ص ٤١٧) ـ

ومن كلام أبى بكر رضى الله عنه : الموت أهون مما بعده ، وأشد مما قبله ـ احرص على الموت توهب لك الحياة ـ ان عليك من الله عيونا تراك ـ كثير القول ينسى بعضه بعضا (٤١٨ ـ ٤١٩) .

ومن كلام عمر رضى الله عنه : من كتم سره كان الخيار فى يده ـ من لم يعرف الشر كان جديرا أن يقع فيه ـ الى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى ـ اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة ، مفسدة للجوف ، مؤدية الى السقم ـ رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى (٤١٩ ـ ٤٢٠) .

ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه : يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك ـ أنتم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال (٤٢١) .

ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها ـ من لم يحط قاعدا لم يحط قائما ـ من كثرت نعمة الله عنده كثرت حوائج الناس اليه ـ العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى ـ الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه ـ اذا تم العقل نقص الكلام ـ الناس أعداء ماجهلوا (٤٢٩ ـ ٤٢٢) .

وقد تعمدنا التمثيل من كل أبواب الكتاب حتى يكون القارئ على بينة من طبيعته ومنحاه ، ويلاحظ أن الفروق التي ذكرناها بين الحكمة والمثل تكاد تميع بل تنمحي وخصوصا بالنسبة لأمثال المولدين فأغلبها ان لم يكن كلها لاترتبط بأحداث أو أشخاص وهي في مجموعها أقرب الى الحكم منها الى الامثال بالمفهوم الفني الذي ذكرناه في مطلع هذا الفصل .

وطريقة الميداني في معالجة الأمثال تتلخص في أنه يشرح مورد المثل أي الحادثة الأصلية التي قيل فيها المثل وفي النهاية يذكر مضربه . واذا كان في المثل به بعض الكلمات الغريبة فسرها ، وقد يستطرد فيستشهد ببعض الابيات الشعرية . فلنكتف بمثال واحد يبين عن طريقته :

(قطعت جهيزة قول كل خطيب)

" أصله ان قوما اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر قتيلا ، ويسألون أن يرضوا بالدية ، فبيناهم في ذلك اذ جاءت أمة يقال لها (جهيزة) فقالت ان القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله ، فقالوا عند ذلك : قطعت جهيزة قول

كل خطيب ، أى قد استغنى عن الخطب : يضرب لمن يقطع على الناس ماهم فيه بحماقة يأتى بها " (١) .

واذا كان للأمثال قيمتها الفنية كأقوال موجزة مركزة قوية البيان آسرة التصوير فان لها أهميتها الكبرى من جوانب أخرى :

١ ـ فهى تنم على ذكاء قائلها ونفاذ بصيرته ودقة ملاحظته وبراعته فى التصوير والتركيز .

٢ ـ وهى وعاء حفظ على مدار التاريخ أسماء مشاهير العرب وسماتهم النفسية والعقلية وقدراتهم المختلفة فى مجالات السياسة والحرب والبلاغة . ويأتى ذكر هؤلاء : فمنهم الفائقون فى الفضائل ومعالى الأمور فيقال : أخطب من سحبان وائل ـ وأكرم من حاتم الطائى وهما قمة الفصاحة والكرم فى التاريخ العربى . كما يقال : أبخل من مادر . وأفهّ أو أعيى من باقل وهما النموذجان المقابلان ....

٣ ـ والأمثال بعد ذلك هى أصدق ما صور ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية فى الحرب والسلم ورافد الصدق هنا أنها تصدر بصورة عفوية " لاتكلف فيها ولا تصنع . حتى ليمكن للباحث أن يستخلص من هذه الأمثال تضاريس وافية للحياة العربية بكل ملامحها وهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة واسعة لاتتسع لها مثل هذه الصفحات .

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ٣٨ .

الفصل الخامس
(التراث في صورته المعجمية)
أساس البلاغة
للزمخشري

(٤٦٧ — ٥٣٨ هـ — ١٠٧٥ — ١١٤٤ م)

صاحب الأساس:

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ينسب الى زمخشر وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، ولد بها في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧هـ .

قام في شبابه بأسفار علمية عديدة الى بخارى وغيرها . ولكن أشهر رحلاته كانت الى مكة ، وقد أقام بها مدة طويلة بعد أن حج البيت ، لذلك كان يقال له بعد ذلك (جار الله) وقد شغلته علوم اللغة أكثر من غيرها .

قال عنه ابن خلكان : " هو الامام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، كان امام عصره غير مدافع ، تشد اليه الرحال في فنونه " (١) .

وكان معتزليا يجهر باعتقاده ، حتى نقل عنه أنه كان اذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب . وأدل من ذلك — كما يقال أنه أول ماصنف

---

(١) الوفيات ١٦٨/٥

تفسيره " الكشاف " كتب فى مقدمته " الحمد لله الذى خلق القرآن " (١) .

ومن مؤلفاته :

١ ـ تفسيره المشهور : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل . وهو أشهر ماكتب الزمخشرى . وحول هذا التفسير كتب غير الزمخشرى عشرات من الكتب والتعليقات والشروح والمختصرات .

٢ ـ المفصل (وهو كتاب فى تعليم النحو .) .

٣ ـ الانموذج (وهو كتاب صغير فى النحو مختصر من المفصل .

٤ ـ المحاجات ، ومتمم مهام أرباب الحاجات فى الأحاجى والأغلوطات (فى النحو) .

٥ ـ القسطاس فى العروض .

٦ ـ مقدمة الأدب (معجم عربى فارسى) .

٧ ـ الفائق فى غريب الحديث .

٨ ـ كتاب الأمكنة والجبال والمياه والبقاع المشهورة فى أشعار العرب .

٩ ـ مسألة فى كلمة الشهادة .

---

(١) يقول المعتزلة بخلق القرآن وحدوثه وعارضهم غيرهم فى ذلك ، وظلت هذه المسألة لها شغلها الشاغل فى علم الكلام والفقه وكانت سبب محنة الامام أحمد بن حنبل فى عهد المأمون والمعتصم .

١٠ ـ كتاب خصائص العشرة الكرام البررة .
١١ ـ كتاب النصائح الكبار (ويسمى كذلك: المقامات) .
١٢ ـ كتاب المستقصى فى الامثال .
١٣ ـ نوابغ الكلم .
١٤ ـ ربيع الابرار .
١٥ ـ أطواق الذهب أو النصائح الصغار ... الخ وقد تجاوزت كتبه الثلاثين كتابا ، ولكن يبقى أساس البلاغة " فى المعاجم كالكشاف فى التفاسير شهرة وذيوعا وقيمة (١) .

المعاجم قبل الأساس :

من فضول القول أن نذكر فى هذا المقام أن المعاجم فى أية لغة من اللغات ـ هى الأوعية التى تحفظ مفردات هذه اللغة بل وتراكيبها لان الكلمة انما تستمد معناها وقيمتها من التركيب والسياق الذى وضعت فيه .

وقد تنبه أجدادنا لهذه الحقيقة فاتجهوا الى العربية يجمعون مفرداتها وينظمونها بالطريقة التى يرون أنها تسهل للباحث التعرف عليها وتفهم معانى ما استغلق عليه واستعصى .

ولعل أهم المعاجم اللغوية التى سبقت أساس الزمخشرى ما يأتى :
١ ـ العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ) (٢)

---

(١) أنظر وفيات الاعيان لابن خلكان ١٦٨/٥ ـ ١٧٤ وبروكلمان (تاريخ الأدب العربى ٢١٥/٥ ـ ٢٣٨) .
(٢) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر والفراهيدى الأزدى ، إمام البصريين فى اللغة والنحو ، وهو واضع علم العروض وهناك شبه اجماع على أن معجمه (العين) هو أول معجم وضع فى اللغة العربية .

ولم يرتب الخليل كلمات معجمه على أساس أبجدي (أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ ـ و ـ ز .... الخ) ولا على أساس هجائي أو ألفبائي (أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ... الخ) .

ولكنه نظر الى اللغة وحروفها كأصوات ذات دلالات ، وكان الفم من الحلق الى الشفتين هو الآلة التي تطلق هذه الأصوات فرتب الحروف على حسب مواضع خروجها داخل الفم ، وأن يكون مبتداها في أقصى الحلق ، ومنتهاها في رأس الشفاه ، ومن ثم كان ترتيب الحروف هو (ع ـ ح ـ هـ ـ خ ـ غ ـ ق ـ ك ـ ج ـ ش ـ ض ـ ص ـ س ـ ز ـ ط ـ ت ـ د ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ر ـ ل ـ ن ـ ف ـ ب ـ م ـ و ـ ى ـ أ ـ ء) .

وقد جعل الخليل لكل حرف كتابا ، وقد ابتدأ بكتاب العين ، وأتبعه كتاب الحاء ثم كتاب الهاء .... وهكذا حتى يستوفي بقية الحروف ومن ثم جاء الكتاب في تسعة وعشرين كتابا بعدد الحروف .

وجعل الخليل أبنية الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي أساس تقسيم كل كتاب من الكتب التسعة والعشرين .

والخليل يذكر الكلمة ومقلوباتها : فالعين مع الباء مثلا تعطينا (عب) ، (بع) . بينما تعطينا العين مع الباء والدال ست صور هي : عبد ، بعد ، بدع ، عدب ، دعب ، دبع وفي البناء الرباعي ٢٤ صورة وفي الخماسي ١٢٠ صورة وهذه الصور كلها تسمى (تقاليب) والقليل من هذه التقاليب مستعمل في اللغة أما أغلبها فهو افتراض مهمل لا وجود له في الاستعمال اللغوي الواقعي . وكانت المحصلة النهائية لعدد الكلمات المستعملة والمهملة ـ كما ذكر الخليل ـ (١٢٣٠٥٤١٢) كلمة .

وقد اتخذ الخليل أول حرف فى اللفظ مبدأ فى معجمه ثم الذى يليه ... وهكذا : فكلمة (كشط) مثلا ترد فى (العين) قبل كلمة (كشر) .

واعتمد الخليل فى تفسير مفرداته على كثير من الشواهد القرآنية والشعرية والحديث الشريف والحكم والامثال (١) .

٢ ـ البارع : لأبى على القالى (٢٨٨ ـ ٣٥٦ هـ) وهو أول معجم عرفته الأندلس . وقد أهداه القالى الى الخليفة الحكم بن الناصر الاموى .. وقد استغرق فى جمع مواده ١٧ عاما وطريقته تشبه طريقة الخليل فى (العين) الى حد بعيد فرتبه وبوبه على حسب مخارج الحروف ولكن مع تغيير طفيف على النسق التالى (هـ ـ ع ـ غ ـ ق ـ ك ـ ض ـ ج ـ ش ـ ل ـ ر ـ ن ط ـ د ـ ث ـ ص ـ ز ـ س ـ ظ ـ ذ ـ ث ـ ف ـ ب ـ م ـ و ـ أ ـ ى ـ .) (٢) .

٣ ـ جمهرة اللغة : لابن دريد (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ) لم يجمع ابن دريد فى معجمه هذا الا الشائع المألوف وان افرد للنوادر من الألفاظ أبوابا ملحقة فى آخر الجمهرة : وقد تأثر بالخليل ابن أحمد فى اعتماده على الأبنية وفى تصنيفها الى ثلاثية ورباعية .. الخ وفى نظام التقاليب الذى ابتدعه الخليل .

---

(١) أنظر : د . عبد السميع محمد : المعاجم العربية ص ٢١ ـ ٤٧ ، د : عمر الدقاق : مصادر التراث العربى (١٧١ ـ ١٧٨) ، وجدى رزق غالى : المعجمات العربية ٢٧ .

(٢) انظر الدقاق السابق ١٧٩ ، غالى ٣١ .

وقد قسم هذه الأبنية الى أبواب وفقا للترتيب الألفبائي للحروف (أ — ب — ت — ث — ج — ح — .... الخ) وهذا ماخالف فيه ابن دريد كتاب العين ..

٤ — تهذيب اللغة : لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٢٨٢ — ٣٧٠) . وقد أعلن مؤلفه أن الغرض من معجمه هو تخليصها مما أصابها من الشوائب والأخطاء . وقد سار فى ترتيب كلماته على نظام الخليل بن أحمد فى العين وفق مخارج الحروف (١) .

٥ — مقاييس اللغة : لأبى الحسين أحمد بن فارس (٣٢٩ — ٣٩٥) بوب ابن فارس معجمه على الترتيب الألفبائى متبعا فى ذلك جمهرة ابن دريد ، غير أن منهج ابن فارس يختلف عن منهج ابن دريد فى أنه طرح مبدأ التقاليب ، واتخذ مبدأ الأصول فى مواده اللغوية . فعلى حين قسم ابن دريد جمهرته الى أبواب كبرى كباب الثنائى الصحيح ، وباب الثنائى الملحق بالرباعى ، وباب الثلاثى المعتل ، وباب الرباعى ، جعل ابن فارس معجمه فى فصول توافق عدد حروف الهجاء وسمى كل فصل كتابا ، فكتاب للهمزة ، وكتاب ثان للباء وثالث للتاء .. فكلمة (بقل) فى كتاب الباء ، وكلمة (قبل) فى كتاب القاف . على حين أن (بقل) وتقاليبها الخمسة تجتمع معا عند ابن دريد (٢) .

---

(١) أنظر غالى : السابق ٢١ ، ٢٤ .
(٢) الدقاق : السابق ١٩٣ .

وهو يبدأ بالحرف الأول ثم الذى يليه ولا يعود الى ما قبله الا بعد استيفاء كل الحروف . فمثلا فى باب القاف (قل - قم - قن ... ألخ) ثم يتعطف الى البداية (قب - قت قد - قر - قص - قع - قف) وهو مسلك غريب هدفه العلمى والفنى غير واضح .

٦ - المحكم والمحيط والأعظم فى اللغة : لأبى الحسن على ابن اسماعيل (ابن سيده) (٣٩٨ - ٤٥٨ هـ) وهو يتبع فى ترتيبه منهج الخليل بن أحمد فى معجمه (العين) وفقا لمخارج الحروف الابعد فالأقرب كما رأينا فى عرضنا لكتاب العين) (١) .

٧ - الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية : لأبى نصر اسماعيل ابن حماد الجوهرى (٣٣٢ - ٤٠٠) هـ (٢) .

بهذا المعجم خرج الجوهرى على " المنهج الخليلى " فى تأليف المعاجم وهو المنهج الذى كان سائدا من قبل . ويظهر هذا الخروج أو هذا التمرد فى أنه لم يعتمد فى ترتيب حروف العربية على المخارج الصوتية ، كما لم يعتمد مبدأ الابنية ونظام التقاليب التى درج عليها الخليل ومدرسته .

ولكن الأساس الوحيد الذى ارتضاه الجوهرى فى ترتيب كتابه : أنه قسمه ابوابا بعدد حروف الهجاء ، ووفق الحرف الاخير من حروف المادة الأصلية ، وجعل المواد الواوية واليائية الآخر فى باب واحد ، ثم

---

(١) أنظر غالى : المعاجم العربية ٢٢ .

(٢) أصله من بلاد الترك من فاراب ، تتلمذ على أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى ورحل الى بادية الحجاز وشافه الاعراب ثم عاد الى نيسابور ليعمل بالتدريس والتأليف وتعليم الخط .

قسم كل باب فصولا بعدد حروف الهجاء كذلك ، وحسب الحرف الاول من حروف المادة الاصلية ، بغض النظر عن عدد حروف المادة وعن أجناسها : فباب الميم يجمع المواد المنتهية بحرف الميم ، وفصل العين منه يجمع المواد المبدوءة بحرف العين من هذا الباب نفسه ، وهكذا سائر الابواب (١) ..

ومن هذا العرض الموجز لمسيرة المعاجم العربية قبل الزمخشرى بمعجمه (أساس البلاغة) نستطيع أن نتبين منهجين رئيسين) :

المنهج الأول : هو " المنهج الخليلى " الذى اختطه الخليل ابن أحمد فى كتاب العين ويعتمد فى ترتيب الكلمات والبحث فيهما على النظام الالفبائى (٢) والابنية مع التقليبات .. وقد سار على هذا النهج من ذكرناهم آنفا مع خلاف غير جوهرى فى الكم والتفصيلات .

المنهج الثانى : هو منهج " الصحاح " الذى حرص فيه الجوهرى على تدوين الصحيح من لغة العرب مرتبا ترتيبا ألفبائيا وفقا لأواخر الاصول على طريقة الباب (الحرف الأخير) والفصل (الحرف الاول) ثم حروف الوسط الاصول .

أساس البلاغة : مصادره وروافده : فى مقدمة الأساس ذكر الزمخشرى بعبارات طلية ـ المصادر التى استقى منها مادة كتابه " .. فليت له العربية وما فصح من لغاتها ، وملح من بلاغتها ، وما سمع من الأعراب

---

(١) د . عبد السميع محمد : المعاجم العربية ٨١ .
(٢) مع التذكير بنظامه الخاص فى ترتيب حروف العربية على أساس مخرجها الصوتى .

فى بواديها (١) ، ومن خطباء الحلل فى نواديها ، ومن قراضبة (٢) نجد فى أكلائها ومراتعها (٣) ، ومن سماسرة تهامة فى أسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به (٤) السقاة على أفواه قلبها (٥) ، ... وتساجعت به الرعاة على شفاه علبها (٦) ، وماتقارضته شعراء قيس وتميم فى ساعات الماتنة (٧) ، وما تزاملت (٨) به سفراء ثقيف وهذيل فى أيام المفاتنة ، وما طولع فى بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتنة (٩) ، وجوامع كلم فى أحشائها مجتنة (١٠) " .

فالزمخشرى ـ كما هو واضح من هذا التصوير ـ يعتمد فى جمع مادته اللغوية على مصدرين :

١ ـ المصدر الشفوى : وهو ما التقطه وجمعه مباشرة من أفواه العرب البدو الأقحاح بلقاء الخطباء والشعراء فى البوادى والأسواق والحروب وغيرها .

---

(١) البوادى : الصحارى .
(٢) القراضبة : الصعاليك واللصوص : جمع قرضوب .
(٣) الأكلاء والمراتع : المراعى .
(٤) تراجزت : أنشدت رجزا .
(٥) القلب : الآبار : جمع قليب .
(٦) القلب : الأوانى التى يحلب فيها اللبن .
(٧) الماتنة : محاولة الشعراء إظهار قوة شعرهم ومتانته .
(٨) تزاملت : تراجزت . والزمل هو الرجز .
(٩) مفتنة : جميلة مختارة بديعة .
(١٠) مجتنة : خفية مستورة .
(مقدمة أساس البلاغة : المقدمة د)

٢ ـ المصدر المكتوب : وهو ما طالعه من كتب الفصحاء وأوراقهم ودفاترهم .

ولا شك أن صاحب الأساس قد أفاد إلى حد كبير من الأعمال المعجمية التي سبقته ورأى الصعوبات التي يصطدم بها القارئ اذا ماحاول مطالعتها . لذا جاء معجمه أسهلها تناولا وأوضحها مأخذا ومنهجا ، وأقدرها على خدمة العربية من وجهيها : الحقيقى والمجازى .

أولية الطريقة الألفبائية :

رتب الزمخشرى معجمه ترتيبا ألفبائيا على حسب أوائل الأصول (أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج .... الخ) . والمشهور أنه رائد هذه الطريقة فى مجال المعاجم . ولكن هذا الحكم العام يحتاج الى مناقشة : ـ

١ ـ فقد رأينا ابن فارس (٣٢٩ ـ ٣٩٥) فى معجمه مقاييس اللغة قد سبق الى هذه الطريقة الألفبائية قبل الزمخشرى بقرابة قرن ونصف على الخلاف الذى ذكرناه فى حديثنا عنه .

٢ ـ ويذكر الدكتور عبد السميع أحمد أن أبا المعالى محمد بن تميم البرمكى (٣٧٢ ـ ٤٣٣ هـ) قد سبق الزمخشرى الى هذه الطريقة فى كتابه الذى سماه (المنتهى فى اللغة) (١) .

٣ ـ ولكن ربما كان رائد هذه الفكرة قبل هؤلاء جميعا بقرابة قرنين : أبا عمرو الشيبانى (٩٤ ـ ٢٠٥) هـ الذى كان من أعلام القرن الثانى ومن أبرز علماء اللغة ورواة الأدب . فقد رتب

---

(١) المعاجم [illegible] ٢٢٢ .

معجمه المسمى (كتاب الجيم) والذى يعرف أيضا بـ (كتاب الحروف) على النسق المعروف لدينا من حيث النظر الى الحرف الأول والنظام الالفبائى معا برغم عدم دقته فى ذلك (١) .

منهج الأساس ومزاياه :

يقول الزمخشرى فى تقديم معجمه " ومن خصائص هذا الكتاب " تخير ماوقع فى عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، أو جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها ، من التراكيب التى تلمح وتحسن ولا تنقبض عنها الألسن ...

ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسوق الكلمات متناسقة لامرسلة بددا ، ومتناظمة لاطرائق قددا ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية الى مراشد حسن المنطق ، الدالة على ضالة المنطيق المفلق .

ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح ....

وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولا ، وأسهله متناولا ، يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع ، من غير أن يحتاج فيها الى الايجاف والايضاع ، والى النظر فيما لايوصل الا باعمال الفكر اليه ، وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه (٢) .

---

(١) أنظر د . الدقاق (مصادر التراث العربى) ٢١٢ .
وأنظر كذلك وفيات الاعيان ١/٢٠١ .
(٢) الاساس (المقدمه د) .

ومن هذه المقدمة التى أبان فيها الزمخشرى عن هدفه من معجمه وأجمل فيها طريقته وخصائصه يمكننا تبين هذا المنهج فيما يأتى :-

١ - ترتيب مواد الكتاب يعتمد على النظام الألفبائى على أساس أول اللفظ فى أصوله (أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز .... (١) ألخ) .

وواضح أن هذه الطريقة تختلف عن نظام الصحاح الذى رتب مادته اللغوية على أساس أواخر الكلمات لا أوائلها :-

ففى (أساس البلاغة) نجد الكلمات الآتية تأتى بهذا الترتيب) أخذ - برك - تخم - ثقب) بينما نجدها تسرد فى (الصحاح) وما تبعه من المعاجم التى سارت على طريقته - بالترتيب الآتى :

(ثقب - أخذ - برك - تخم)

والمعجم اعتمادا على هذا التأسيس مقسم على ثمانية وعشرين بابا لكل حرف باب (باب الهمزة - باب الباء - باب التاء - باب الثاء .... ألخ) .

وفى داخل كل باب يلتزم الزمخشرى الترتيب الألفبائى بالنسبة لثوانى الكلمات وثوالثها فى أصولها . ففى باب الجيم مثلا (الجيم مع الهمزة - الجيم مع الباء - .... وهكذا الى أن ينتهى الباب بالجيم مع الياء) .

---

(١) يلاحظ أن الزمخشرى جعل الواو قبل الهاء فى ترتيب الأبواب والتزم بذلك بالنسبة للترتيب الداخلى لبنية الكلمة .

٢ ـ جمع اساس البلاغة بين الحقيقة والمجاز فى المادة اللغويـــة : فهو يورد المعنى الحقيقى المباشر للكلمة ثم يورد بعد ذلـك استعمالاتها المجازية ، وهى سمة جديرة بالتقدير والاعجـاب لأنها سمة كان للزمخشرى فضل السبق اليها مايجعل معجمه لامرجع لغة فحسب ـ ولكن مأصلا من مأصل " البلاغة العملية " التى تعتمد على " الاستعمال " الحى المتدفق لا التقنيـن والتنظير الجـــاف .

٣ ـ لم يقف الاساس عند حدود الألفاظ المفردة فهو " لايرسلهـا بددا " ولا يسوقها طرائق قددا " بل يهتم بالتركيـــب والعبارة ، وايراد " المفردات " فى سياق يبرز معناهـــا وايحاءها وقدرتها البلاغية ، ولذلك حشد الزمخشرى فـــى الاساس مايزيد على خمسة آلاف شاهد شعرى زيادة علـــى آلاف أخرى من القرآن الكريم والحديث الشريف والحكم والأمثال .

وكان اهتمام الزمخشرى بالجانب الجمالى " على حســاب استيفاء المادة اللغوية وصورها الممكنة " ومن ثم لم تنصرف عنايته الى تتبع معانى مفردات المادة ، ولا الى تتبع مشتقاتهـــا وتصريفات أصلها ، كما انصرفت الى هدفه الذى صرح به " (١) .

وقد يعلل هذا القصور فى استيفاء المادة اللغوية الى جانب التعليل السابق ـ بكون ماسقط معروف للقارىء أو لأنه " مهمل " لاوجود له فى أصل اللغة . (٢) .

---

(١) د . عبد السميع المعاجم العربية ١٤٥ .
(٢) أنظر د . الدقاق (مصادر التراث ..) ٢١٣ .

٤ — وقد نبه الدكتور عبد السميع أحمد (١) الى ظاهرة فى أساس البلاغة تستحق العناية وهى أن الغالبية الغالبة من المواد المواد التى أفردها بالذكر والشرح مستقلة ثلاثية الأصول ، وقل ماذكره من مواد غير الثلاثى .. وتبلغ اثنتين وستين مادة رباعية ومادتين خماسيتين .

وقبل أن نرفع القلم عن أساس البلاغة نختم حديثنا بعرض شريحة من هذا المعجم العظيم ، بعد أن عرف القارئ خطته ومنهجه ماعرف : —

الحاء مع السين : ح س ب — حَسَبَ المال ، ورفع العامل حسابه وحسبانه . ومن يقدر على عد الرمل وحَسْب الحصى ؟ وهو من الكتبة الحَسَبَة . والاجر على حسب المصيبة أى على قدرها ، وفلان لاحسب له ولا نسب ، وهوما يَحْسُبُه ويَعُدُّه من مفاخر آبائه . وألق هذا فى الحسب أى فيما حُسِبْتَ . وهو حسيب نسيب ، وهم حسباء ، وفلان لا يُحْتَسَبُ به أى لايعتد به . واحتسبت عليه بالمال ، واحتسب عند الله خيرا اذا قدمه ومعناه اعتدّ ، فيمايدخر . واحتسب ولده اذا مات كبيرا ، وافترطه اذا مات صغيرا قبل البلوغ . واحتسبت بكذا : اكتفيت به . واحسبنى كفانى ، وحسبى كذا وحسبى . وفلان حسن الحسبة فى الامور أى الكفاية والتدبير ، وفعل كذا حسبة أى احتسابا وله فيه حسبة وحسب . قال الكميت .

إلى مَزُورين فى زيارتِهِمْ ∴ نَيْلُ التُّقَى واستتمت الحِسَبُ

---

(١) المعاجم العربية ١٤٩ .

ومن المجاز : خرجا يتحسبان الأخبار : يتعرفانها ، كما يوضع الظن موضع العلم ، واحتسبت ماعند فلان : اختبرته وسبرته . قال الشاعر :

تقول نساء يحتسبن مودتي ⁖ ليعلمن ما أخفي ويعلمن ما أبدي

وفي بعض الحديث " عند الله احتسب عنائي " . وأتانى حساب من الناس أي كثير ، كما تقول جاء في عدد منهم وعديد :

قال ساعدة بن جؤية :

فلم ينتبه حتى أحاط بظهره ⁖ حساب وسرب كالجراد يَسُومُ

واستعطاني فلان فأحسبته أي أكثرت له (١) .

---

(١) الزمخشري : أساس البلاغة ١٧٢ .

الفصل السادس
التراث فى صورة اختيارات شعرية
(المفضليات) للضبى : ٠٠ ت ١٧٨ هـ

الضبى صاحب الاختيارات :

هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبى الكوفى اللغوى ، كان علامة راوية للأخبار والآداب وأيام العرب ، وكان أحد القراء الذين أخذوا عن عاصم ٠٠٠٠ ، روى عنه أبو زكريا يحيى بن زياد القراء وعلى بن حمزة الكسائى ، وأبو كامل الجحدرى ، وأبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابى ٠

كان جده يعلى بن عامر على خراج الرى وهمدان والماهين ، قدم المفضل بغداد فى أيام هارون الرشيد وقدم البصرة أيضا ٠٠ ولم تذكر كتب الأخبار تاريخ مولده ، وان رجح محققا المفضليات (١) أنه ولد فى العشر الأول من القرن الثانى الهجرى : لان شيوخه الذين سمع منهم كانت وفياتهم بين سنتى (١٢٣ ـ ١٤٨ هـ) كما أنه كان قد خرج على بنى العباس مع ابراهيم بن عبد الله بن حسين وأسر فى الوقعة سنة ١٤٥ هـ ٠

كما رجحا أن تكون وفاته سنة ١٧٨ هـ (٢) ٠

ومن كتبه (الامثال) و (معانى الشعر) و (الالفاظ) و (العروض) ٠ ويقال أنه كان يكتب المصاحف ويقفها فى المساجد تكفيرا لما كتبه بيده ، من أهاجى الناس (٣) ٠ واختياراته الشعرية

---

(١) الاستاذان : عبد السلام هارون وأحمد شاكر ص ٢٥ ٠
(٢) السابق ١٢٦ ٠
(٣) أنظر الزركلى : الاعلام ٧/ ٢٨٠ ٠

التى سماها (المفضليات) تعد أشهر الاختيارات فى العربية .

موضوع المفضليات وأهميتها :

كتاب المفضليات مجموعة قصائد شعرية جمعها المفضل الضبى ، وهو يعد أقدم تجميع لمختارات شعرية فى التاريخ العربى .

ويروى أبو الفرج الأصفهانى من الأخبار مايبين عن الدافع الذى دفع المفضل الى جمع هذه القصائد المختارة منها أن ابراهيم بن عبد الله نزل على المفضل الضبى فى وقت استتاره . ـ وكان المفضل زيديا ـ فقال له ابراهيم : ائتنى بشىء من كتبك انظر فيه فان صدرى يضيق اذا خرجت ، فأتاه بشىء من أشعار العرب فاختار منها قصائد وكتبها مفردة فى كتاب .

قال المفضل : فلما قتل ابراهيم أظهرتها ، فنسبتها إلىّ ، وهى القصائد التى تسمى (اختيار المفضل) السبعون قصيدة ، قال : ثم زدت عليها وجعلتها مائة وثمانية وعشرين (١) .

وهناك روايات أخرى تلتقى فى أن المنصور بعد أن انهزم ابراهيم بن عبد الله وقتل . عفا عن المفضل الضبى الذى كان يقاتل مع ابراهيم وأسر . ثم الزمه ابنه المهدى مؤدبا ومعلما وكلفه باختيار قصائد من الشعر العربى فاختار له القصائد التى سميت بالمفضليات (٢) .

---

(١) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ٣٣٨ .
(٢) أنظر هارون وشاكر فى تقديم المفضليات ١٢ ، ١٣ .

وتحوى المفضليات ١٢٦ قصيدة ، أضيف اليها أربع قصائد وجدت فى احدى النسخ . أما شعراء المفضليات فعددهم ٦٧ شاعرا منهم : سبعة وأربعون جاهليا وأربعة عشر مخضرما وستة اسلاميون .

وليس من هؤلاء الشعراء أحد من أصحاب المعلقات باستثناء الحارث بن حلزة ، بل ان أغلب هؤلاء من المقلين وغير المشاهير. وثمة ثلاث مفضليات أتى بهما الضبى دون نسبة محددة : الأولى هى المفضلية رقم ١٣ (لرجل من عبد قيس حليف لبنى شيبان) . والثانية المفضلية رقم ٣٢ لرجل من اليهود والثالثة المفضلية رقم ٦٩ لامرأة من بنى حنيفة ترثى يزيد بن عبد الله بن عمر الحنفى .

وبعض هذه القصائد لايتجاوز البيتين وقرابة نصفها يقل عن العشرين بيتا وثمة خمس عشرة مفضلية طويلة تزيد كل منها على الاربعين بيتا . أطولها على الاطلاق مفضلية سويد بن أبى كاهل اليشكرى اذ تبلغ مائة وثمانية أبيات (١) . والابيات كلها تبلغ قرابة ٢٧٠٠ بيت .

<u>وترجع أهمية المفضليات فى التاريخ الأدبى العربى الى عدة أمور هى :ـ</u>

١ ـ <u>الأسبقية الزمنية</u> : فالمفضليات كما أشرنا من قبل هى أقدم مجموعة من الاختيارات الشعرية عرفها التاريخ العربى (٢) . وبذلك رادت الطريق لكتب الاختيارات الشعرية التى أتت بعد ذلك : مثل (الأصمعيات) لابى سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى

---

(١) المفضليات : المفضلية رقم ٤٠ ص ١٩٠ .

(٢) ذهب بروكلمان ـ خلافا للمشهور ـ الى أن أقدم هذه الاختيارات ماجمعه حماد الراوية من مطولات الجاهلية . وسمى مجموعه (السموط) أو المعلقات) بروكلمان ١/٦٧ .

و (جمهرة أشعار العرب) لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى . و (مختارات شعراء العرب) لابن الشجرى . و (ديوان الهذليين) لابى سعيد السكرى . و (ديوان الحماسة) لابى تمام (١) .

٢ ـ القيمة الذاتية : ـ فى أنها حفظت من الضياع والنسيان قصائد كاملة غير منقوصة لشعراء أغلبهم من الجاهليين وأغلبهم من المقلين الذين لم يشدوا الانظار كالفحول من أصحاب المعلقات والمطولات .

ولكن المفضليات " لم تسلم من الشك فى عدد قصائدها وفى أنها جميعها مما روى المفضل " (٢) . ويقطع محققا " المفضليات بأن المفضل لم يخرج كل هذه القصائد التى شرحها ابن الانبارى وأن كثيرا منها أدخل فى اثنائها من بعده . وأن أصل المفضليات / السبعون التى اختارها ابراهيم بن عبد الله بن حسن والتى يقول المفضل فيها " صدرت بها اختيار الشعراء ثم أتممت عليها باقى الكتاب " وأنه زاد ها بعد ذلك عشرا حين تقدم اليه المنصور فى اختيار قصائد للمهدى ، فصارت ثمانين . وأن هذه الثمانين هى أصل الكتاب عن المفضل لم يتجاوزها . ثم قرئت على الاصمعى ، فأقرها وزاد ها قصائد ، وزاد فى بعض قصائدها ابياتا ، واختار قصائد أخر ، ثم جاء آخرون بعد الاصمعى ، وزادوا فى القصائد ـ أصلها ومزيدها ـ ابياتا دخلت فى روايتى المفضل والاصمعى حتى

---

(١) أنظر بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ١/ ٦٧ ـ ٨٤
(٢) د . ناصر الاسد : مصادر الشعر الجاهلى ٥٧٥ .

اختلطت كلها ، فلم يكن ميسورا أن يجزم جازم بما كـــــان أصلا ، وما كان مزيدا الا قليلا . كما أن السبعين التى بـــنى عليها الكتاب والعشرة التى زاد المفضل ليست الثمانين الأولـــى من هذه المجموعة ، وانما هى ثمانون قصيدة مفرقة فى الكتاب (١) .

هذا وقد حظيت المفضليات بعناية كثير من الشراح القـدامى وأهم هذه الشـــروح :

١ ـ شرح ابن الانبارى المتوفى سنة ٣٠٥ هـ) .

٢ ـ شرح ابن النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) .

٣ ـ شرح المرزوقى (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) .

٤ ـ شرح ابى زكريا التبريزى (المتوفى سنة ٥٠٢ هـ)

٥ ـ شرح الميدانى صاحب مجمع الأمثال (المتوفى سنة ٥١٨ هـ) (٢) .

بين المفضليات والأصمعيات :

لاتكاد تذكر المفضليات الا مرتبطة فى الذهن بمجموعـــة شعرية أخرى سارت على نفس النهج وهى (الاصمعيات) التى جمعها أبو سعيد الاصمعى (×) وهى تحوى ٩٢ أصمعية مابين قصيدة ومقطعة .

(×) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع المعروف بالأصمعى الباهلى . كان صاحب لغة ونحو واماما فـــى الأخبار والنوادر والملح الغرائب ولد سنة ١٢٢ وتوفى سنة ٢١٦ هـ بالبصرة . وله عشرات من الكتب منها (الاجناس) ـ (الانواء) (الابواب) (الأمثال) (الاضداد) ـ (الوحوش) ـ (غريب الحديث) ـ (الأراجيز) ـ (معانى الشعر) أنظر الوفيات ٣/ ١٧٠ ـ ١٧٦

(٢) شاكر وهارون فى تقديم المفضليات ص ١٤

(٢) انظر بروكلمان ١/ ٧٤ والسابق ٢٣ .

وهناك وجوه شبه كثيرة بين المفضليات والأصمعيات تتلخص فيما يأتى : —

أ) نوعية الشعراء ومكانهم فى التاريخ الأدبى :

فغالبية الذين اختار لهم الاصمعى فى الأصمعيات من الجاهليين (٤٤ شاعرا) والقلة من الاسلاميين (٦ شعراء) زيادة على ١٤ شاعرا مخضرما وستة شعراء مجهولين • ويلاحظ أن عدد شعراء المفضليات ٦٧ شاعرا وعدد شعراء الاصمعيات ٧١ شاعرا • وأن عدد المخضرمين والاسلاميين هو فى الاصمعيات هو نفس العدد فى المفضليات •

هذا الى أن أغلب هؤلاء فى المفضليات والأصمعيات من الشعراء المقلين •

ب) وهناك خمسة عشر شاعرا من شعراء المفضليات نلتقى بهم فى الاصمعيات : وهؤلاء الخمسة عشر لهم ٣١ مفضلية (فى المفضليات) ولهم فى الأصمعيات عشرون أصمعية •

ومن هؤلاء عشرة تكررت قصائد لهم فى الاصمعيات وهم على سبيل الحصر :

١ — أوس بن غلفاء مفضلية رقم ١١٨ هى الأصمعية رقم ٨٩ •
٢ — الجموح الاسدى : المفضلية ١٠٩ هى الاصمعية ٨٠ •
٣ — حاجب بن حبيب الاسدى : المفضلية ١١٠ هى الاصمعية ٨١ • والمفضلية ١١١ هى الاصمعية ٨٢ •
٤ — ربيعة بن مقروم : المفضلية ١١٣ هى الاصمعية ٨٤ •

٥ ـ زبان بن سيار المرى : المفضلية ١٠٢ هى نفسها الأصمعية ٧٣ ،والمفضلية ١٠٣ هى الاصمعية ٧٤.

٦ ـ سبيع بن الخطيم : المفضلية ١١٢ هى الأصمعية ٨٣ .

٧ ـ عامر بن الطفيل : المفضليتان ١٠٦ ، ١٠٧ هما الاصمعيتان : ٧٧ ، ٧٨ .

٨ ـ عبد قيس بن خفاف : المفضليتان ١١٦ ، ١١٧ هما الاصمعيتان ٨٧ ، ٨٨ .

٩ ـ معاوية بن مالك : المفضليتان ١٠٤ ، ١٠٥ هما الاصمعيتان ٧٥ ، ٧٦

١٠ ـ مقاس العائذى : المفضلية ٨٥ هى الأصمعية ١٣ هذا على خلاف طفيف جدا بالزيادة فى بعض الأبيات أو الاختلاف فى ترتيب بعضها .

فلا غرابة اذن أن يعتبر البعض (الأصمعيات) هى الجزء الثانى المتمم للمفضليات ، وان بقى للمفضل الضبى فضل الريادة فى مجال الاختيارات الشعرية .

المراجـــع

١ ـ أساس البلاغـــة — محمود بن عمر الزمخشـــرى
الطبعة الثانية دار الكتب المصرية
١٩٧٢

٢ ـ الأصمعيـــات — عبد الملك بن قريب الأصمعـــى
تحقيق أحمد شاكر و عبد السلام هـــارون
الطبعة الرابعة ـ دار المعـــارف
١٩٧٦

٣ ـ الأعـــلام — خير الدين الزركلى ـ الطبعـــة
الرابعـــة ـ بيروت ١٩٧٩

٤ ـ الأغـــانـــى — لأبى الفرج الاصبهانى دار الشعب
القاهـــرة

٥ ـ تأثير الثقافة الاسلامية فى الكوميديا الإلهية لدانـــتى
د ٠ صلاح فضل ٠ دار المعـــارف
١٩٨٠

٦ ـ تاريخ الأدب العربى — كـــارل بـــروكلمـــان
ترجمة د ٠ عبد الحليم و د ٠ رضان عبد التواب
الطبعة الرابعـــة ٠ دار المعارف

٧ ـ تجديد ذكرى أبى العلاء — د ٠ طـــه حسين
الطبعة الرابعة ٠ دار المعـــارف
١٩٦٨

٨ ـ التراث العربـــى — عبد الســـلام هـــارون
دار المعارف ١٩٧٨

٩ ـ دائرة المعارف الاسلامية — المجلد الأول ٠ دار الشعـــب
القاهـــرة

١٠ ـ دراســـة الأغانـــى — شـــفيـــق جـــبرى
دمـــشـــق ١٩٥١

١١ ـ دراسة فى مصادر الأدب — د . الطاهر مكى
الطبعة الرابعة . دار المعارف
١٩٧٧

١٢ ـ دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى — د . عبد الرحمن بدوى
الطبعة الأولى ـ بيروت ١٩٦٥

١٣ ـ رسالة الغفران — لأبى العلاء المعرى
تحقيق بنت الشاطىء ـ ط ٦ دار المعارف
١٩٧٧

١٤ ـ شمس العرب تسطع على الغرب — زيغريد هونكة
ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقى ط (١)
بيروت ١٩٦٤

١٥ ـ صاحب الأغانى أبو الفرج الأصفهانى الراوية
د . محمد أحمد خلف الله ـ الطبعة الثالثة
١٩٦٨ ـ دار الكاتب العربى ـ القاهرة

١٦ ـ عالم الفكر ـ الكويت ـ وسمية ـ ابريل ١٩٧٧

١٧ ـ فلسفة أبى العلاء مستقاه من شعره — حامد عبد القادر لجنة
البيان العربى ١٩٥٠

١٨ ـ فى أصول الأدب — أحمد حسن الزيات
ط ٣ . مطبعة الرسالة ١٩٥٢

١٩ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادى : الحلبى ـ القاهرة

٢٠ ـ اللزوميات — لأبى العلاء المعرى
مطبعة المحروسة . القاهرة
١٨٩٥

٢١ ـ مجمع الأمثال — للميدانى (أحمد بن محمد النيسابورى
القاهرة ١٣٥٢ هـ .

٢٢ ـ المرزبانى والموشح — د . منير سلطان — الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة ١٩٧٨

٢٣ ـ مصادر التراث العربى — د . عمر الدقاق — ط ٣ بيروت ١٩٧٧

٢٤ ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية — د . ناصر الدين الأسد — ط (٥) دار المعارف ١٩٧٨

٢٥ ـ مطالعات فى الكتب والحياة — عباس العقاد ط ٣ — بيروت ١٩٦٦

٢٦ ـ المعاجم العربية — د . عبد السميع محمد أحمد — ط ٢ ـ دار الفكر العربى ١٩٧٤

٢٧ ـ المعجمات العربية — رزق غالى — الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة ١٩٧١

٢٨ ـ المفضليات — للضبى (محمد بن يعلى) — تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٢ — دار المعارف ١٩٥٢

٢٩ ـ مقاتل الطالبيين — لأبى الفرج الأصبهانى — تحقيق السيد أحمد صقر ـ الحلبى ـ القاهرة ١٩٤٩

٣٠ ـ مقدمة ابن خلدون — عبد الرحمن بن محمد بن خلدون — دار الشعب . القاهرة

٣١ ـ الموسوعة العربية الميسرة — الطبعة الثانية ـ دار الشعب القاهرة

٣٢ ـ الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء فى عدة أنواع من صناعة الشعر) — لمحمد بن عمران المرزبانى — تحقيق على محمد البجاوى ـ دار نهضة مصر ١٩٦٥

٣٣ ـ وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان لابن خلكان ـ تحقيق د . احسان عباس ـ بيروت ١٩٧٨

الفهرس

	ص
تقديم	١
الفصل الأول : التراث فى صورته الفنية الجامعة : الاغانى لابى الفرج الاصفهانى	٦
الفصل الثانى : التراث فى صورته الناقدة الموشح : للمرزبانى	٤٣
الفصل الثالث : التراث فى صورة ملحمية قصصية : رسالة الغفران للمعرى	٦٣
الفصل الرابع : التراث فى صورة أمثال و حكم كتاب : مجمع الامثال للميدانى	١٠٢
الفصل الخامس : التراث فى صورته المعجمية اساس البلاغة للزمخشرى	١٠٩
الفصل السادس : التراث فى صورة اختيارات شعرية : المفضليات للضبى	١٣٧
المراجع :	١٣٤